الكتاب الجامع للفضائل

(٢٨)

فضل الصحابة ـ أ

للشيخ/ندا أبو أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

فضل الصحابة ـ أ

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولُه .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿ ٧٠ ﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب :٧٠-٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله ـ تعالى ـ، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار .

نبض الرسالة

أولًا: فضائل الصحابة في القرآن الكريم

١- الصحابة خير أمه أخرجت للناس:

٢- صحابة النبي ﷺ هم الذين اصطفاهم الله عز وجل:

٣- الصحابة شهداء على الناس في الدنيا ويوم القيامة:

٤- الله ﷻ يدافع عن الصحابة رضي الله عنهم:

٥- الله ﷻ فضل الصحابة على من بعدهم وعدَّلهم ورضي عنهم وزكاهم ووعدهم الجنة:

٦- أثنى الله- تعالى- على الصحابة الكرام لصبرهم على البلاء، وتفويض أمرهم إلى الله ووعدهم بالأجر العظيم:

٧- الله ﷻ تاب على الصحابة- رضي الله عنهم- :

٨- الله ﷻ أيد ونصر النبي ﷺ بالصحابة ووعدهم بالفلاح:

٩- شهد الله- تعالى- للصحابة بالإيمان الحق الكامل:

١٠- شهد الله- تعالى- للصحابة بالصدق:

١١- شهد الله ﷻ للصحابة بالإخلاص ودوام الذكر والدعاء، وأمر نبيه ﷺ أن يصبر نفسه بهم:

١٢- شهد الله ﷻ للصحابة بالتقوى:

١٣- شهد الله لهم بأنهم سادات العباد، وأصحاب التواضع والخشوع والسمت الحسن

١٤- الله ﷻ حبب إلى الصحابة الإيمان وزينه في قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان ووصفهم بالرشاد:

١٥- وعد الله ﷻ الصحابة ومن على طريقتهم بالإستخلاف في الأرض:

١٦- وصف الله ﷻ المهاجرين بالصادقين، والأنصار بالمفلحين:

١٧- أعطى الله تعالى الصحابة الذين أنفقوا قبل الفتح وقاتلوا الأجر الكبير والفضل العظيم:

١٨- الصحابة يدخلون تحت كل آية فيها ثناء على المؤمنين، وكل وعد بالجنة هم أولى به:

١٩- الصحابة لهم الكرامة والنور التام يوم القيامة، وهم أولى الناس بالتكريم في هذا اليوم العصيب:

٢٠- شهادة الله للصحابة بالفوز بالجنات وعظيم الدرجات، وهم المبشرون من ربهم بأعلى النعيم

ثانياً: **فضائل الصحابة من السنة المطهرة**:

١- الصحابة أمنة للأمة المحمدية:

٢- خير القرون قرن الصحابة- رضي الله عنهم-:

٣- ببركة الصحابة تفتح الأمصار وتعمر البلاد:

٤- الناس بخير ما دام فيهم الصحابة:

٥- دعاء النبي ﷺ لسامعي سنته ومبلغيها بالنضرة والرحمة:

٦- الصحابة دعا لهم النبي ﷺبالمغفرة

٧- ودعا لهم النبي ﷺ ألا يبطل الله هجرتهم ولا ينقصها:

٨- وصى النبي ﷺ بالصحابة:

٩- الصحابة لا يدركهم أحد في فضلهم ومكانتهم:

١٠- من أغضبهم فقد أغضب الله- تعالى-:

١١- إتباع الصحابة والتأسي بهم سبيل للنجاة من النار:

١٢- النبي ﷺ بشر من رآه وآمن به وأتبعه وصدقه أن له طوبى:

١٣- والنبي ﷺ نهى عن سب الصحابة والطعن فيهم:

ولقد لعن النبي ﷺ من سب الصحابة:

ثالثا: **ثناء السلف الأبرار على الصحابة الأخيار**:

يُذكر في ثنايا الرسالة

فضائل الصحابة(١)

مقدمة: -

فمما لا شك فيه أن الله- تعالى- خالق الخلق ومدبر الكون، يخلق ما يشاء ويصطفي من خلقه ما يشاء كما قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ (القصص:٦٨).

وهذا الاختيار دالًا على ربوبيته تعالى ووحدانيته، وكمال حكمته وعلمه وقدرته.

فهو سبحانه وتعالى خلق السماوات سبعًا، واختار العليا منها فجعلها مستقر المقربين من ملائكته واختصها بالقرب من كرسيه ومن عرشه.

خلق الجنان واختار منها جنة الفردوس وجعل عرشه سقفها.

خلق الملائكة واصطفى واختار منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل.

خلق البشر واصطفى منهم الأنبياء، واصطفى من الأنبياء الرسل، واصطفى من الرسل أولى العزم، واصطفى من أولى العزم النبي ﷺ.

خلق الأمم واصطفى منها أمة النبي ﷺ.

خلق البلاد واختار منها بلده الحرام «مكة» فهي أحب البلاد إلى الله تعالى.

خلق الأرض واختار منها المساجد، واختار من المساجد البيت الحرام.

خلق الأيام واختار منها يوم النحر ويوم الجمعة والعشر الأوائل من ذي الحجة.

خلق الليالي واختار منها ليلة القدر.

خلق الشهور واختار منها شهر رمضان والأشهر الحُرم.

خلق البشر واصطفى منهم الصحابة، واصطفى من الصحابة السابقين الأولين، واختار منهم أهل بدر، وأهل بيعة الرضوان. (أنظر زاد المعاد: ١/٤٢-٥٦)

وقد أخرج الإمام أحمد والطبراني في الكبير عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: **"إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلبَ محمدٍ ﷺ خيرَ قلوبِ العبادِ، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئًا فهو عند الله سيئ".**

(قال الشيخ الألباني: حسن موقوفا، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر)

١- الصحابي: هو كل من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ومات على الإسلام، فيدخل في ذلك كل من لقي النبي ﷺ وطالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عن النبي ﷺ ومن لم يرو، ومن غزا مع النبي ﷺ أو من لم يغزوا، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى. (الإصابة:١/١٠)

وقال ﷺ أيضًا: "من كان مُستنًا فليستنَّ بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، فأولئك أصحاب محمد ﷺ أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا قد أختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ، وإقامة دينه فأعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم؛ فإنهم على الهدى المستقيم ".

(رواه ابن عبد البر في" جامع بيان العلم وفضله: ٩٧/٢" وفيه انقطاع).

فالصحابة – رضي الله عنهم– هم حملة الإسلام وحفظته بعد رسول الله، اختارهم الله واصطفاهم لصُحبه نبيه ﷺ ونشر رسالته من بعده، عدَّلهم وزكاهم ووصفهم بأوصاف الكمال في غير ما آية من كتاب الله.

فقال تعالى: ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ (الأحزاب:٢٣).

وقال تعالى: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ (النور:٣٧).

وقال تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة:١٠٠)

وقال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الفتح:٢٩)

إنهم نوعٌ فريدٌ من الرجال لم تعرف البشرية لهم نظيرًا في تاريخها الطويل الممتد عبر الزمن، لقد حاز أصحاب محمد ﷺ قَصَبَ السبقِ في كل شيء فهم قمة في التقوى والورع وآية في التجرد والإخلاص ومَشْعَلٌ في العلم والعمل، ونبراس في الدعوة والحركة، فأي خِصلةِ خير لم يسبقوا إليها؟! وأي خطةِ رشد لم يستولوا عليها؟! تالله لقد وردوا الماء من عين الحياة عذبًا صافيًا زُلالًا وأيَّدوا قواعد الإسلام فلم يدعوا لأحد بعدهم مقالًا، فتحوا القلوب بعدلهم بالقرآن والإيمان... والقرى بالجهاد والسنان.

(إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم –رحمه الله–: ٦٠٥/١)

هم أنصار الدين في مبتدئ نشأته.

بذلوا المُهج يوم بخل أهل الدراهم بدراهمهم.

رجال المغارم يوم يندسُّ المغمورون في ثيابهم.

هم لله عز وجل قلوبًا وأبدانًا ودماءً وأموالًا.

لم يجعلوا همهم حشو البطون ولا لُبس الحرير ولا الإغراق في النعم.

حفظوا الشرع من أهواء الزائغين... وحَمَوا الملة من زحف المناوئين...

شهدوا التنزيل وعملوا بما فيه طائعين... حملوا الوحيين وحضروا البيعتين... وصلَّى أكثرهم إلى القبلتين.

كلٌّ له همٌّ، وهَمّهم رفعة (لا إله إلا الله) كلٌّ له قصدٌ، وقصدهم الجليل في عُلاه. خرجوا من أموالهم لله ولرسوله ﷺ فما شفى ذلك لهم غليلًا، فأبوا إلا أن يقدموا الأرواح ويسيلوا الدماء ويستعذبوا العذاب في سبيل الله.

فرضي الله عنهم وأرضاهم وأكرم في جنات الخلد مثواهم. **أهـ**

(بتصرف من مقدمة الشيخ عائض القرني – صور من سير الصحابة ص١٠٣)

لقد نصر الصحابة الكرام الدين ووطد الله بهم قواعد الملة، وفتحوا قلوب العباد والبلاد، وجاهدوا في الله حق جهاده فرضي الله عنهم وأرضاهم.

لسان حال الصحابة يقول:

أبدأ بنا في رأسِ كل صحيفةٍ أسماؤنا في أصلها عنوانُ

وإذا كتبتَ روايةً شرقيّةً فحديثنا مِنْ ضِمْنها تيجانُ

كان العالم قبل وصولنا غابة، كأن عليه جنابة،

وكانت الدنيا قبل ميلادنا في مأتم، تشكو وتتألّم،

فلما بزغ فجر رسولنا من البطحاء أشرقت على نوره الأرض والسماء

نحن بعثنا إلى الدنيا النور، وأزلنا منها الظلم والفجور،

أَذَّنّا في أُذن الدنيا فآمنت، ومشينا على جبالها فتطامنت،

أرضنا بدماء شهدائنا تفوح، وقلوبنا بأسرار التوحيد تبوح،

عجب الدهر يوم طالع صفحة جلالنا،

وهام التاريخ يوم أبصر لوحة جمالنا،

وتعجّب كل جبل يوم قرأ مكارم أبطالنا.

نحن خرجنا للعالم وفي قلوبنا قرآن نسكبه في قلب مَن وَحَّد وتشهّد،

وفي إيماننا سيوف نقطع بها رأس من تمرّد وأَلْحَدْ،

عندنا قداسة الإنسان، وقداسة البيان،

وقداسة الزمان، وقداسة المكان

نحن الذين على خُطا أمجادهم وقف الزمان مفاخِرًا مبهورًا

تيجان عِزّتنا النجومُ فلا ترى غير الوفاء وصارمًا مشهورًا

زارنا بلال بن رباح، فصار سيدنا ومؤذن دولة الفلاح،

وجاء سلمان من أرض فارس،

فلما أسلم صار كأنه على قرن الشمس جالس،

ووفد إلينا صهيب من أرض الروم، فأصبح من سادات القوم

نحنُ الذين روى التاريخ قصّتهم ونحن أعظمُ من في الأرض قد ظهرا

أما ترى الشمس غارت من مكارمنا والبدر في نورنا العلويّ قد سَهِرَا

إذا لم يبدأ التاريخ بنا فأعلم أنه منكوس،

وإذا لم يُثنِ علينا سفر المكارم فاعلم أنه منحوس

كسرنا سيوفنا في بدر، على رءوس أهل الكفر،

ثم أرسلنا شظاياها لصلاح الدين في حطّين، فقهر بها الصليبين.

ردّدنا في أُحُد (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) فسحقنا من جَحَد

وقطعنا دابر من فسد.

نشرب إنْ وَرَدنا الماء صَفْوًا ويشرب غيرنا كَدَرًا وطينًا

أما صفّق لقدومنا الفراتُ والنيل؟ وهلّل لطلعتنا مضيق الدردنيل،

بسماحة الصديق فتحنا الطريق، بِدُرّة الفاروق أَدّبنا أهل العقوق،

بصدق أبي ذر، قلنا الحقّ وهو مُرّ:

فأنا النور حين يطغى ظلامٌ وأنا النارُ حين يقسو الجليدُ

وإذا صرتُ في الحياة فريدًا فأنا الدرّ والجمان الفريدُ

مِنّا من اهتزّ لموته عرش الرحمن، ومِنّا من كلّمه اللهُ بلا ترجمان،

ومِنّا من غسلته الملائكةُ يوم التقى الجَمْعان.

تلونا القرآن على جبال قندهار، وصلّينا به في صنعاء، وتهجّدنا به في كابل،

وفسّرناه في تونس، وشرحناه في دمشق، وخشعنا له في بغداد.

أزاهيرنا مؤمنات العبير وأطيارنا قانتات الزَّجَلْ

وأنهارنا من ضفاف المتاب تحدَّرْن بالندم المشتَعِلْ

رفعنا الإيمان في الهند، ونشرنا المعرفة في السِّنْد،

أسرنا الجبابرة ثم أعتقناهم، وملكنا الجبابرة ثم أطلقناهم،

نُكبِّرُ فتسقط القِلاع، نؤذِّن فتهتزّ التِّلاع،

بلَّلْنا مواطن السجود بالدموع، وكُنّا في صلاتنا كالسواري من الخشوع،

نرتِّلُ القرآن فتقف على أصواتنا المطايا، نادى منادينا:

أيتها النفوس من الموت أشربي، ويا خيل الله أركبي

فجمّد اللهُ لنا الماء، وظلّل علينا الغمام من السماء.

نحنُ هل تدري بنا للناس فَجْرُ قَصْدنا جنّة مولانا وأجْرُ

قد ملأنا الأرض عدْلًا وارِفًا وسِوانا في الوَرَى عُجَرٌ وبُجَرُ

(انظر مقامات القرني)

وبعد هذه المقدمة آن لنا الشروع للدخول في الموضوع وذكر فضائل الصحابة الأطهار الأبرار، مع الأخذ في الاعتبار أنه مهما خطّت الأقلامُ وسطّر المدادُ فلن نوفيهم حقهم، وعند الله وحده جزاؤهم، ولكن نشير إلى قبس من نورهم ومناقبهم من القرآن والسنة.

أولًا: فضائل الصحابة في القرآن الكريم[1]:

١- الصحابة -رضي الله عنهم- خير أمة أُخْرِجت للناس:

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران:١١٠)

وقد اختلف أهل العلم، من المقصود بالخيرية، هل هم صحابة النبي ﷺ، أم عموم الأمة ؟:

قال ابن جرير الطبري-رحمه الله- في" تفسيره :٤/٤٣-٤٥": اختلف أهل التأويل في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ فقال بعضهم: هم الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة وخاصة من أصحاب رسول الله ﷺ. قال عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما- ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: هم الذين هاجروا مع النبي ﷺ إلى المدينة.

وعن السدى-رحمه الله- أنه قال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ قال عمر بن الخطاب ﷺ:" لو شاء الله تعالى لقال: "أنتم" فكنا كلنا، ولكن قال: "كُنتُمْ" في خاصة من أصحاب رسول الله ﷺ، ومن صنع مثل صنيعهم كانوا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر".

وعنه ﷺ أنه قال:" ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: تكون لأولنا ولا تكون لآخرنا ".

وقال الضحاك-رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: هم أصحاب رسول الله ﷺ خاصة يعني وكانوا هم الرواة الدعاة الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم.

وقال الزجاج -رحمه الله- في كتاب" معاني القرآن: ٤٦٧/١": وأصل الخطاب لأصحاب النبي ﷺ وهو يعم سائر أمته".

وقال الخطيب البغدادي -رحمه الله- تعالى بعد ذكره لهذه الآية: "وهذا اللفظ وإن كان عامًا فالمراد به الخاص، وقيل هو وارد في الصحابة ". أهـ (الكفاية في علم الرواية)

وعى هذا القول يكون المراد بهذه الآية هم المخاطبون عند نزول الوحي، وهم صحابة رسول الله ﷺ، كما نص أكثر العلماء، كابن حجرٍ والخطيب.

- **بينما ذهب آخرون إلى أن المقصود بالخيرية في الآية هم عموم الأمة المحمدية.**

قال قتادة: قال الحسن البصري -رحمه الله-: " نحن أخرها وأكرمها على الله ".

وقد رجح الإمام الطبري-رحمه الله-هذا القول فقال:" وأولى الأقوال بتأويل الآية ما قال الحسن ثم ساق بإسناده إلى بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" **إنكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمهم على الله** ". **وأخرجه أيضًا الإمام أحمد والترمذي.** أهـ بتصرف واختصار.

ومما يؤكد هذا الرأي ما أخرجه الإمام أحمد عن علي ﷺ عن رسول الله ﷺ قال في حديث له:

"...... **وجعلت أمتي خير الأمم**".

١- استفدت كثيرًا من كتاب "فرسان النهار من الصحابة الأخيار" لفضيلة الشيخ الدكتور/ سيد بن حسين العفاني - حفظه الله -، وكتاب "أولئك أصحاب محمد خير هذه الأمة" للشيخ الدكتور/عبد الستار جبَّار شُكر الجنابي- حفظه الله -.

وممن حمل الآية على العموم في جميع الأمة الحافظ ابن كثير-رحمه الله- فقال في" تفسيره :٨٩/٢" بعد ذكره لأقوال المفسرين فقال: "والصحيح إن هذه الآية عامة في جميع الأمة كل قرن بحسبه وخير قرونهم الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم...." أهـ باختصار.

وعلى القول بأن عموم الأمة هي المقصودة بقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ فإنه لا يدخل في هذه الخيرية إلا من تَحَلَّ بصفات الصحابة وأخلاقهم، وتبع المنهج الذي ألتزموه وساروا عليه.

٢- صحابة النبي -صلى الله عليه وسلم- هم الذين اصطفاهم الله -عز وجل-:-

قال تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ (النمل:٥٩).

قال ابن جرير الطبري-رحمه الله- في" تفسيره :٦٣١٠/٨": وقوله ﴿الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ أي: الذين اجتباهم لنبيه محمد ﷺ فجعلهم أصحابه ووزراءه على الدين الذي بعثه بالدعاء إليه دون المشركين به الجاحدين نبوة نبيه".

ثم ذكر بإسناده إلى ابن عباس- رضي الله عنهما- في قوله ﴿وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ قال: أصحاب محمد اصطفاهم الله لنبيه.

ثم قال الطبري-*رحمه الله*- : حدثنا علي بن سهل قال حدثنا الوليد بن مسلم قال: قلت لعبد الله بن المبارك أرأيت قول الله ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ من هؤلاء؟ فحدثني عن سفيان الثوري قال: هم أصحاب رسول الله ﷺ.

وذكر ابن كثير-رحمه الله- في" تفسيره :٣٤٥/٥" عن هذه الآية قولين:

أحدهما: أن المراد بعباده الذين أصطفى هم أنبياؤه ورسله الكرام.

الثاني: أن المراد بعبادة الذين أصطفى: هم أصحاب محمد- رضي الله عنهم-.

ثم قال جامعًا بين القولين: "ولا منافاة؛ فإنهم إذا كانوا من عباد الله الذين أصطفى، فالأنبياء بطريق الأولى والأحرى ". أهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في كتابه" منهاج السنة النبوية :١٥٦/١":

" قال طائفة من السلف: هم أصحاب محمد ﷺ، ولا ريب أنهم أفضل المصطفين من هذه الأمة التي قال الله فيها: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ (فاطر: ٣٢-٣٥) فأمة محمد ﷺ الذين أورثوا الكتاب بعد الأمتين قبلهم اليهود والنصارى، وقد أخبر الله – تعالى- أنهم الذين أصطفى ".

وتواتر عن النبي ﷺ أنه قال: " **خير القرون القرن الذي بُعثت فيهم، ثم الذين يلونهم**". (رواه البخاري من حديث عمران بن حصين ﷺ). والنبي ﷺ وأصحابه هم المصطفون من المصطفين من عباد الله. أهـ

وقال السفاريني–رحمه الله– في كتابه" لوامع الأنوار البهية: ١٥٦/١": وقوله ﴿**قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ**﴾ وهم أصحاب محمد ﷺ. أهـ

وكذا قال سفيان –رحمه الله– ونقل هذا عنه الطبري في تفسيره (٢٠/٣).

وقال الحافظ ابن حجر–رحمه الله– كما في" فتح الباري: ٧/٧": وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل، لمشاهدة رسول الله ﷺ، أما من أتفق له الذب عنه والسّبق إليه بالهجرة، أو النصرة، أو ضبط الشرع المتلقي عنه وتبليغه لمن بعده، فإنه لا يعدله أحد ممن يأتي بعده، لأنه ما من خصلة إلا والذي سبق لها مثل أجر من عمل بها من بعده، فظهر فضلهم ". أهـ

وقال الإمام أحمد–رحمه الله– في عقيدته: "فأدناهم صحبة هو أفضل من القرن الذين لم يروه ولو لقوا الله بجميع الأعمال". (شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي: ١٦٠/١).

وقال النووي–رحمه الله-: في "شرح مسلم: ٩٣/١٦": وفضيلة الصحبة، ولو لحظة، لا يوازيها عمل، ولا تنال درجتها بشيء، والفضائل لا تؤخذ بالقياس، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. أهـ

وقال تعالى: ﴿**وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**﴾ (الحج:٧٨).

قال العلامة ابن القيم في "إعلام الموقعين: ١٦٧/٤-١٦٨": "أخبر–تعالي– أنه اجتباهم، والإجتباء كالاصطفاء وهو افتعال مِنْ: أجتبى الشيء، يجتبيه إذا ضمّه إليه وحازه إلى نفسه ، فهم المجتبون الذين اجتباهم الله إليه ، وجعلهم أهله وخاصته وصفوته من خلقه بعد النبيين والمرسلين؛ ولهذا أمرهم تعالى أن يجاهدوا فيه حق جهاده فيبذلوا له أنفسهم ، ويفردوه بالمحبة والعبودية ، ويختاروه وحده إلهًا معبودًا محبوبًا على كل ما سواه ، كما اختارهم على من سواهم فيتخذونه وحده إلههم ومعبودهم الذي يتقربون إليه بألسنتهم وجوارحهم وقلوبهم ومحبتهم وإرادتهم ، فيؤثرونه في كل حال على من سواه، كما اتخذهم عبيده وأولياءه وأحباؤه وآثرهم بذلك على من سواهم...ثم أخبر. تعالى . أنه نوه بهم وأثنى عليهم قبل وجودهم، وسماهم عباده المسلمين قبل أن يظهرهم، ثم نوّه بهم وسماهم كذلك بعد أن أوجدهم اعتناءً بهم ورفعة لشأنهم وإعلّاء لقدرهم.

ثم أخبر – تعالي – أنه فعل ذلك ليشهد عليهم رسوله، ويشهدوا هم على الناس، فيكونوا مشهودا لهم بشهادة الرسول ﷺ، شاهدين على الأمم بقيام حجة الله عليهم، فكان هذا التنويه وإشارة الذكر لهذيْن الأمريْن الجليلين وهاتين الحكمتين العظيمتين والمقصود أنهم إذا كانوا بهذه المنزلة عنده – تعالي – فمن المحال أن يحرمهم كلهم الصواب في مسألة فيفتي فيها بعضهم بالخطأ ولا يفتي فيها غيره بالصواب ويظفر فيها بالهدى من بعدهم والله المستعان ". أهـ

٣- الصحابة -رضي الله عنهم- شهداء على الناس في الدنيا ويوم القيامة:

- أما كونهم شهداء على الناس في الدنيا فدليله:

ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: **"مُرَّ بجنازة فأُثني عليها خيرًا، فقال النبي ﷺ: "وجبت وجبت وجبت"، ومُرَّ بجنازة فأُثني عليها شرًا، فقال النبي ﷺ: "وجبت وجبت وجبت"، قال عمر ﷺ: فدى لك أبي وأمي، مُرَّ بجنازة، فأُثني عليها خيرًا فقلت: وجبت وجب وجبت، ومُرَّ بجنازة فأُثني عليها شرًا، فقلت: "وجبت وجبت وجبت"، فقال رسول الله ﷺ "من أثنيتم عليه خيرًا وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرًا وجبت له النار، أنتم شهداءُ الله في الأرض، أنتم شهداءُ الله في الأرض، أنتم شهداءُ الله في الأرض".**

وفي رواية عند البخاري من حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" أيما مسلم شهد له أربعة نفر بخير أدخله الله الجنة"، قال: فقلنا: وثلاثة ؟ قال:" وثلاثة "، فقلنا: واثنان؟ قال:" واثنان"، ثم لم نسأل عن الواحد.

قال النووي–رحمه الله–كما في شرح مسلم :١٩/٧": إن كل مسلم مات فألهم الله– تعالى– الناس أو معظمهم الثناء عليه كان ذلك دليلًا على أنه من أهل الجنَّة سواء كانت أفعاله تقتضي ذلك أو لا، وإن لم تكن أفعاله تقتضيه فلا تحتم عليه العقوبة بل هو في خطر المشيئة، فإذا ألهم الله– عز وجل– الناس الثناء عليه أستدللنا بذلك على أنه– سبحانه وتعالى– قد شاء له المغفرة وبهذا تظهر فائدة الثناء.

قال الحافظ ابن حجر–رحمه الله– كما في فتح الباري :٢٦٥/٣" تعليقًا على كلام النووي: "وهذا في جانب الخير واضح. ويؤيده ما رواه أحمد وابن حبان والحاكم عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: **"ما من مسلم يموت، فيشهد له أربعة من جيرانه الأَدْنَيْن أنهم لا يعلمون منه إلا خيرًا إلا قال اللهُ– تعالى–: قد قبلت قولكم، وغفرت له ما لا تعلمون".**

لكن هل كل من يثنى على الميت يكون سبب لوجوب الجنة؟ ومن هم شهداء الله في الأرض؟

يجيب على هذا ابن حجر–رحمه الله– فيقول كما في" فتح الباري :٢٦٣/٣": المخاطبون بذلك: **"أنتم شهداء الله في الأرض"** هم الصحابة ومن كان على صفاتهم من الإيمان، ***وحكى ابن القيم:*** أن ذلك مخصوص بالصحابة؛ لأنهم كانوا ينطقون بالحكمة بخلاف من بعدهم، **قال والصواب:** أن ذلك يختص بالثقات والمتقين، ثم نقل الحافظ ابن حجر عن الداودي–رحمه الله– قوله: المعتبر في ذلك شهادة أهل الفضل والصدق لا الفقه، لأنهم قد يثنون على من يكون مثلهم.

- **وكذلك هم شهداء على الناس يوم القيامة: ويدل على هذا قوله تعالى:** ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة:١٤٣).

فإن كان المخاطب بهذه الآية هم جميع الأمة المحمدية من أولها إلى أن تقوم الساعة، إلا أن الصحابة يكونون في مقدمة المخاطبين بهذه الآية، لأنهم جميعهم عدول.

وقد نقل ابن جرير الطبري في تفسيره عند هذه الآية عن ابن عباس – رضي الله عنهما –، وسعيد بن جبير ومجاهد أن الوسط هو العدل، وذلك معنى الخيار، فالخيار في الناس عدولهم، فإن لم يكن هذا الوصف للصحابة فلمن يكون؟!!

وقد استدل بالآية السابقة الإمام ابن القيم –رحمه الله– في كتابه إعلام الموقعين (١٦٦/٤) على وجوب اتباع الصحابة –رضي الله عنهم– حيث ذكر أنهم أمة خيارًا عدولًا، هذا حقيقة الوسط، فهم خير الأمم، وأعدلها في أقوالهم وأعمالهم وإرادتهم ونياتهم، وبهذا استحقوا أن يكونوا شهداء للرسل على أممهم يوم القيامة، والله– تعالى– يقبل شهادتهم عليهم، فهم شهداؤه، ولهذا نوه بهم، ورفع ذكرهم، وأثنى عليهم، لأنه تعالى لما أتخذهم شهداء أعلم خلقه من الملائكة وغيرهم بحال هؤلاء الشهداء، وأمر أن تصلي عليهم وتدعو لهم وتستغفر لهم.

والشاهد المقبول عند الله الذي يشهد بعلم وصدق؛ فيخبر بالحق مستندًا إلى علمه به، **كما قال تعالى**: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (الزخرف:٨٦). أهـ

٤- الله -عز وجل- يدافع عن الصحابة- رضي الله عنهم-:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ .

(البقرة:١٣)

والمقصود بالناس في هذه الآية هم أصحاب النبي ﷺ وقد دافع الله عنهم بهذه الجملة المؤكدة بعدة تأكيدات، ولم يفعل ذلك مع أصحاب نبي قبله. فقوم نوح– عليه السلام– لما قالوا له: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ – يحتقرون أصحابه المؤمنين–، فأجابهم نوح: ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ﴾.

وقال تعالى عن المنافقين: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ۗ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾. (المنافقون:٧)

وفي هذه الآية دافع الله عن الصحابة الذين هاجروا إلى المدينة، وكان الأنصار وهم أهل البلد يواسونهم فنهاهم المنافقون عن ذلك مؤملين أن ينصرفوا إلى شؤون معايشهم وما يصلح حالهم، فرد الله عليهم بأن خزائن السماوات والأرض بيده تعالى فهو متكفل برزقهم لأنهم في صحبة نبيه ﷺ قائمون بخدمته باذلون أنفسهم في نصرة دينه.

وقال تعالى أيضًا عنهم: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾. (المنافقون:٨)

قال عبد الله بن أبي بن سلول لإخوانه المنافقين وهم راجعون من غزوة بني المصطلق مع النبي ﷺ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل – يقصد بالأذل المهاجرين وبالأعز أنفسهم – فرد الله عليهم بأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ولم يدافع الله عن صحابة نبي غير صحابة نبينا ﷺ لكرامتهم عليه سبحانه.

٥- الله ﷻ فضل الصحابة على من بعدهم وعدَّلهم ورضي عنهم وزكاهم ووعدهم الجنة:

قال تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ . (التوبة:١٠٠)

ففي هذه الآية أثنى الله- تعالى- على جميع المهاجرين وجميع الأنصار بدون قيد، لأن(ال) تفيد العموم، ورضي عن جميع الذين اتبعوهم ب(إحسان)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "فرضى الله عن السابقين من غير اشتراط إحسان، ولم يرضى عن التابعين إلا أن يتبعوهم بإحسان ". (الصارم المسلول: ص٥٧٢)

وهذه الآية الكريمة اشتملت على أبلغ الثناء من الله رب العالمين على السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان حيث أخبر عز وجل أنه رضى عنهم ورضوا عنه بما أكرمهم الله به من جنات النعيم؛ والنعيم المقيم فيها الذي لا يفنى ولا يبيد، فقد خسر نفسه بعد هذا من ملأ قلبه ببغضهم واستعمل لسانه في سبهم والوقيعة فيهم كالطائفة المخذولة من الرافضة التي عميت عن ثناء الله عليهم في كتابه العزيز بمثل هذا الثناء وغيره فأخذوا يعادونهم ويبغضونهم ويسبونهم عياذًا بالله، وهذا يدل على أن قلوبهم انتكست وعقولهم فسدت وإلا فأين هم من الإيمان بالقرآن إذ يسبون من رضي الله عنهم ورضوا عنه؟. وقد عصم الله أهل السنة والجماعة مما وقع فيه الرافضة فلم يقولوا في أسلاف هذه الأمة منكرًا، أو يطعنوا فيهم طعنًا، فلم يقولوا في المهاجرين والأنصار وأعلام الدين ولا في أهل بدر وأحد وأهل بيعة الرضوان إلا أحسن المقال.

(انظر تفسير ابن كثير: ٢/٣٧٠)

واختلف أهل التأويل في المعنيّ بقوله ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ﴾ فقال بعضهم: هم الذين بايعوا رسول الله ﷺ بيعة الرضوان، وممن قال ذلك: عامر الشعبي، وروي عن ابن سيرين مثل ذلك[١].

وقال أخرون بل هم الذين صلوا القبلتين مع رسول الله ﷺ وهو قول أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وسعيد بن المسيب، ومحمد بن سيرين، وقتادة – رحمهم الله-.

قال محمد بن كعب- رحمه الله-: " إن الله غفر لجميع أصحاب محمد ﷺ، وأوجب لهم الجنة في كتابه؛ محسنهم ومسيئهم. قالوا: وفي أي موضع أوجب لهم الجنة؟! قال في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (الدر المنثور في تفسير بالمأثور:٤/٢٧٢)

وقال الله تعالى: عن أهل بيعة الرضوان: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (الفتح:١٨)

١- أنظر تفسير الطبري، وتفسير ابن أبي حاتم عند تفسير الآية السابقة.

- ***قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:*** " والرضا عن الله صفة قديمة، فلا يرضى إلا عن عبد علم أنه يوافيه على موجبات الرضا، ومن رضي الله عنه لم يسخط عليه أبدًا.. فكل من أخبر الله تعالى عنه أنه رضي عنه فإنه من أهل الجنة، وإن كان رضاه عنه بعد إيمانه وعمله الصالح، فإنه يذكر ذلك في معرض الثناء عليه والمدح له، فلو علم أنه يتعقب ذلك بما يسخط الرب لم يكن من أهل ذلك ". أهـ (الصارم المسلول: صـ ٧٢)

وقال ابن حزم -رحمه الله- في "الفصل في المِلَل والنحل: ٤/١٤٨" في الآية السابقة: " أخبرنا الله تعالى أنه علم ما في قلوبهم، ورضي عنهم، وأنزل السَّكِينةَ عليهم، فلا يَحلُّ لأحدٍ التوقُّفُ في أمرهم أو الشَّكُّ فيهم البَتَّة ".

- ***وقال الخطيب البغدادي -رحمه الله- في كتابه "الكفاية في علم الرواية صـ٤٩":*** " ولا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله له إلى تعديل أحد من الخلق، على أنه لو لم يرد من الله ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه، وجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد ونصرة الإسلام، وبذل المهج والأموال وقتل الأباء والأبناء، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين، والقطع على تعديلهم والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم كافة أفضل من جميع الخالفين بعدهم، والعدول الذين يجيئون من بعدهم ". أهـ

- ***وقال الخطيب البغدادي أيضًا في نفس المصدر صـ٦٣":***

"عدالة الصحابة ثابتةٌ ومعلومةٌ بتعديل الله لهم، وإخباره عند طهارتهم، واختياره لهم في نصِّ القرآن، فلا يحتاج أحدٌ منهم مع تعديل الله- تعالى- لهم المُطَّلع على بواطنهم إلى تعديل أحدٍ من الخلق له، وهذا مذهب كآفة العلماء، ومن يعتد بقوله من الفقهاء ". أهـ

- ***وقال ابن حجر العسقلاني -رحمه الله-:*** " اتفق أهل السنة على أن الجميع - أي: الصحابة - عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة ". (الإصابة:١/١٧)

- ***وقال ابن عبد البر-رحمه الله-:*** " أجمع أهل الحق من المسلمين (وهم أهل السنة والجماعة) على أنهم - أي: الصحابة - كلهم عدول ". (الاستيعاب:١/٨)

- ***وقال -رحمه الله-أيضًا:*** " ثبتت عدالتهم - أي الصحابة - جميعًا بثناء الله -عز وجل-، وثناء رسوله ﷺ، ولا أعدل ممن ارتضاه الله لصحبة نبيه، ولا تزكية أفضل من ذلك، ولا تعديل أكمل منه ".

- ***وقال العلامة الآلُوسِيُّ-رحمه الله-:*** " اعلم أن أهل السنة - إلا من شذ - أجمعوا على أن الصحابة عدول؛ يجب على الأمة تعظيمهم ". (الأجوبة الوافية:٤٧١)

- ***وقال ابن الصلاح -رحمه الله-:*** " إن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة، ومن لابس الفتن منهم. فكذلك بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع".(مقدمة ابن الصلاح:صـ٤٢٨)

- وكذلك نقل العراقي، والجويني، وابن الصلاح، وابن كثير، وغيرهم: إجماع المسلمين على أصحاب النبي كلهم عدول.

ومما يدل على عدالتهم قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ (البقرة:١٣٧) فالله تعالى في هذه الآية جعل الإيمان بمثل إيمان الصحابة دليل الاهتداء، وعدم ذلك دليل الشقاق.

٦- أثنى الله - تعالى - على الصحابة الكرام لصبرهم على البلاء، وتفويض أمرهم إلى الله فوعدهم على ذلك الأجر العظيم:

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ . (آل عمران: ١٧٢-١٧٣)

اشتملت هذه الآية على مدح عظيم للصحابة- رضي الله عنهم- بقوة الإيمان والصبر على البلاء وتفويض كل الأمور باللجأ إلى الله- تعالى- وعلى وعده تعالى للمحسنين المتقين منهم بالثواب العظيم، وقد فعلوا- رضي الله عنهم- ما وعدهم بالثواب عليه، ولا خلاف بين العلماء أن الذين استجابوا لله والرسول هم المهاجرون والأنصار الذين حضروا معه عليه الصلاة والسلام وقعة أُحُد، أجابوه في ثاني يومها حين دعاهم إلى الخروج وراء قريش، قال لهم: "ولا يخرج معنا إلا من حضر أُحُدًا" فخرجوا على ما بهم من القروح والجروح صابرين راضين حتى بلغوا حمراء الأسد، ولم يدركوا قريشًا.

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ أي رَكبٌ من عبد القيس، مرّوا بأبي سفيان قاصدين المدينة، فدسّهم إلى المسلمين ليثبطوهم عن الخروج وراء قريش ويخوفوهم منهم ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾ أي قريشًا ﴿قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ أي عزموا على الرجوع إليكم ليستأصلوا بقيتكم في زعمهم ﴿فَاخْشَوْهُمْ﴾ أي خافوهم واحذروهم، فإنه لا طاقة لكم به ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ أي زاد ذلك التخويف من الركب المسلمين تصديقًا ويقينًا وقوة في دينهم وثباتًا على نصر نبيهم ﷺ.

٧- الله -عز وجل- تاب على الصحابة- رضي الله عنهم-:

ومن تاب الله عليه لم يعذبه أبدًا، **قال تعالى:** ﴿لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ . (التوبة:١١٧)

جاء في تفسير البغوي "معالم التنزيل: ٣/١٢٩" عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما –أنه قال:

" من تاب الله عليه لم يعذبه أبدًا ".

وفي الآية السابقة ثناء من الله– تعالى– على النبي الكريم وصحبه الأكرمين من المهاجرين والأنصار، وإخباره تعالى أنه من لطفه وإحسانه أن تاب عليهم فغفر لهم الزلات وكتب لهم الحسنات ورقاهم إلى أعلى الدرجات، وذلك بسبب قيامهم بالأعمال الصعبة الشاقة ولهذا قال: ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ أي: خرجوا معه لقتال الأعداء في غزوة تبوك وكانت في حر شديد وضيق من الزاد والركوب وكثرة عدد مما يدعو إلى التخلف فاستعانوا الله تعالى، وقاموا بذلك ﴿مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ أي: تنقلب قلوبهم ويميلوا إلى الدعة والسكون ولكن الله ثبتهم وقواهم. (تفسير السعدي: ٣/١٤٥)

رضوان الله عليهم أجمعين، وأعظم بها من منقبة لأولئك الصفوة حيث شملهم الله تعالى بالتوبة عليهم ومن تاب الله عليه تحققت سعادته في الدار الآخرة.

وقال أبو بكر أحمد بن على الجصاص–رحمه الله– في "أحكام القرآن: ٣/١٦٠": " وقوله تعالى ﴿لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ فيه مدح لأصحاب النبي ﷺ الذين غزوا معه من المهاجرين والأنصار وإخبار بصحة بواطن ضمائرهم وطهارتهم لأن الله– تعالى– لا يخبر بأنه قد تاب عليهم إلا وقد رضي عنهم ورضى أفعالهم وهذا نص في رد قول الطاعنين عليهم والناسبين لهم إلى غير ما نسبهم الله إليه من الطهارة ووصفهم به من صحة الضمائر وصلاح السرائر – رضي الله عنهم– ".أهـ

قال ابن القيم–رحمه الله– كما في كتابه "مدارج السالكين": " التوبة هي بداية العبد ونهايته، وحاجته إليها في النهاية ضرورية، كما أن حاجته إليها في البداية كذلك، وقد قال الله تعالى ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. (النور:٣١)، وهذه الآية في سورة مدنية، خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه، بعد إيمانهم وصبرهم وهجرتهم، وجهادهم، ثم علق الفلاح بالتوبة، فلا يرجوا الفلاح إلا التائبون ". أهـ

٨- الله -عز وجل- أيد ونصر النبي -صلى الله عليه وسلم- بالصحابة ووعدهم بالفلاح:

قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. (الأعراف: ٢٥٦-٢٥٧)

عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ﴾ "يعني حَمَوْه، ووقّروه، ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه ".

وقال عكرمة –رحمه الله– في قوله (وَعَزَّرُوهُ): يقتلون معه بالسيف. وهو قول السدى أيضًا.

ويقول قتادة –رحمه الله– في قوله تعالى (وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ): فأما نصره وتعزيره فقد سبقتم به ولكن خياركم من آمن به واتبع النور الذي أنزل معه.

(أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) **قال ابن عباس – رضي الله عنهما –:**" الذين أدركوا ما طلبوا، ونجوْا من شر ما منه هربوا ".[١]

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. (الأنفال:٦٢-٦٣)

المعنى: هو الذي قوّاك وأعانك بنصره يوم بدر، وقوّاك وأعانك بالمؤمنين أي: الأنصار؛ وهم الأوس والخزرج.

ففي الآية أن الله– سبحانه– أيد نبيه ﷺ بالنصر، وبالمؤمنين (وهم الصحابة)، وجاء هذا في بيان فضل الله على نبيه ﷺ.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: نزلت هذه الآية في المتحابين في الله، والتشابه سبب الألفة، فمن كان من أهل الخير آلف أشباهه وألفوه.

فثبت على كلا القولين عموم الآية: إما في جميع الصحابة من الأنصار، وإما فيهم وفي جميع المهاجرين.[٢]

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. (الأنفال:٦٤) أي كفاك وكفى أتباعك من المؤمنين الله ناصرًا.

قال الشعبي –رحمه الله–: حسبك الله وحسب من شهد معك.

١- تفسير ابن أبي حاتم: (٥/١٥٨٥).
٢- انظر: تفسير ابن أبي حاتم: (٥/١٧٢٧).

٩- شهد الله- تعالى- للصحابة-رضي الله عنهم- بالإيمان الحق الكامل:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ۚ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (٧٣) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الأنفال: ٧٢-٧٤)

الموصوفون في الآية الأولى من هذه الآيات بالصفات الثلاث التي هي الإيمان والهجرة والجهاد هم المهاجرون الأولون الذين تركوا ديارهم وأموالهم وأولادهم إيثارًا لله ولرسوله من أجل إعلاء كلمة الله، وإظهار الدين الإسلامي الحنيف على سائر الأديان سواه لأنه الدين الحق الذي لا يقبل الله من أحد دينًا سواه، والموصوفون في الآية نفسها بالإيواء والنصرة هم الأنصار الذين هم الأوس والخزرج، فإنهم آووا الرسول وأصحابه المهاجرين في منازلهم ونصروا نبي الله عليه- الصلاة والسلام- بمقاتلة أعداء الدين، ثم بين سبحانه الولاء والتلاحم الثابت بين المهاجرين والأنصار بقوله: ﴿أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ أي: في النصرة والمساعدة. وهذا مما يؤكد قطع الموالاة بينهم وبين الكفار والآية الأخيرة من الآيات السابقة أخبر تعالى عنهم بحقيقة الإيمان وأنه سبحانه سيجازيهم بالمغفرة والصفح عن ذنوبهم إن وجدت، وبالرزق الكريم وهو الحسن الكثير الطيب الشريف الدائم الأبدي المستمر الذي لا ينقطع ولا ينقص، ولا يسأم ولا يمل لتنوعه وحسنه.

قال ابن كثير-رحمه الله- في "تفسيره: ٣/٣٥١" عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا...﴾ **الآية:**

" ذكر تعالى أصناف المؤمنين وقسمهم إلى مهاجرين خرجوا من ديارهم وأموالهم وجاءوا لنصر الله ورسوله وإقامة دينه، وبذلوا أموالهم وأنفسهم في ذلك. وإلى أنصار وهم المسلمون من أهل المدينة إذ ذاك آووا إخوانهم المهاجرين في منازلهم وواسوهم في أموالهم ونصروا الله ورسوله بالقتال معهم فهؤلاء بعضهم أولياء بعض ... وقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ بل أقاموا في بواديهم فهؤلاء ليس لهم في المغانم نصيب ولا في خمسها إلا ما حضروا فيه القتال ". أهـ

وقال القرطبي -رحمه الله- في "تفسيره: ٥٨/٨" عند قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا...﴾ **الآية:**

"حقًا" مصدر أي: حققوا إيمانهم بالهجرة والنصرة وحقق الله إيمانهم بالبشارة في قوله: (لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ).
أي ثواب عظيم ". أهـ

وفي هذه الآيات تعديل لله- تعالى- للمهاجرين والأنصار، حيث وصفهم بالإيمان وأكد على هذه بقوله "حقًا" ومن شهد الله له بهذه الشهادة فقد بلغ أعلى مراتب العدالة.

فائدة: خوطب الصحابة بوصف الإيمان ما يقرب من تسعين مرة في القرآن الكريم.

١٠ - شهد الله- تعالى - للصحابة-رضي الله عنهم- بالصدق:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣) لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٣٤) لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ . (الزمر:٣٣-٣٥)

فالصحابة رضي الله عنهم داخلون في هذا الثناء، وهذا الصنف الذي يجيء بالصدق ويصدق به فهم الأئمة الصادقون في أقوالهم، المصدقون بالحق إذا جاءهم، وكل صادق بعدهم فهو إنما يأتم بهم في صدقه وتصديقه أتباعًا لهم واقتداء بهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- في كتابه "منهاج السنة النبوية: ١٥٦/١": عند قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ فيها ثناء على الصحابة- رضي الله عنهم- حيث قال: وهذا الصنف الذي يقول الصدق ويصدق به من خلا الصنف الذي يفتري الكذب أو يكذب به ...
والصحابة هم أفضل من جاء بالصدق وصدق به بعد الأنبياء، وليس في الطوائف المنتسبة إلى القِبلة أعظم افتراء للكذب على الله وتكذيبًا بالحق من المنتسبين إلى التشيع ". أهـ

والحال كما قال -رحمه الله- فإن الصحابة الكرام- رضي الله عنهم- هم أزكى الأمة وأطهرها فهم الصادقون فيما يقولون وهم في أولية الأمة تصديقًا للحق لما جاءهم فرضي الله عنهم أجمعين، وعلى من يبغضهم ويعاديهم اللعنة إلى يوم الدين.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ . (التوبة:١١٩)

وقوله ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ ***قال نافع-رحمه الله-:*** أي مع محمد ﷺ وأصحابه، وقال الضحاك -رحمه الله-: مع أبي بكر وعمر وأصحابهما، وقال سعيد بن جبير -رحمه الله-: مع أبي بكر وعمر. وعن ابن جريج -رحمه الله- قال: مع المهاجرين الصادقين.

وقال ابن جرير الطبري-رحمه الله- في تفسيره عند الآية السابقة: "والصحيح من التأويل في ذلك هو التأويل الذي ذكرناه عن نافع والضحاك ". أهـ

قال الشيخ محمد العربي بن التباني المغربي-رحمه الله- من كتابه «إتحاف ذوي النجابة بما في القرآن والسنة من فضائل الصحابة صـ٤٠-٤١: قال سعيد بن جبير: مع الصادقين يعني أبي بكر وعمر. وقال ابن جريج: مع المهاجرين، وهذا احتج به أبو بكر على الأنصار يوم السقيفة في استحقاق الخلافة، فقال لهم: إن الله سمانا الصادقين، قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ وسماكم المفلحين، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وقد أمركم الله أن تكونوا معنا حيث كنا، فدل على أن هذا الأمر - يعني الخلافة - فينا. وتخصيص المهاجرين بالصدق لا يدل على نفيه فيما عداهم، فالقاعدة المشهورة تقول: تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفيه عما عداه ". أهـ بتصرف واختصار

١١ - شهد الله -عز وجل- للصحابة -رضي الله عنهم- بالإخلاص ودوام الذكر والدعاء، وأمر نبيه -صلى الله عليه وسلم- أن يصبر نفسه معهم:

قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾. (الكهف:٢٨)

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢) وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾. (الأنعام:٥٢-٥٣)

وقد أخرج الإمام مسلم عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: " فِيَّ نزلت ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ قال: نزلت في ستة أنا وابن مسعود منهم، وكان المشركون قالوا له: تُدْنى هؤلاء؟!".

وقال ﷺ أيضًا: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا. قال: وكنت أنا وابن مسعود، ورجل من هُذَيل وبلال ورجلان لست أُسَمِّيهما فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدَّث نفسه فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾.

فالله غايتهم، يتوجَّهون إليه بالغداة والعشي، لا يتحوّلون عنه، ولا يبغون إلا رضاه، وما يبتغونه أجلُّ وأعلى من كل ما يبتغيه طلّاب الحياة.

فاصبر نفسك مع هؤلاء يا محمد، صاحبْهم وجالسْهم وعلِّمهم ففيهم الخير، وعلى مثلهم تقوم الدعوات.

يقول ابن الجوزي -رحمه الله- في كتابه "التبصرة: ١/٥٦٧": لله دّر الصحابة من سادة أخلصوا الأعمال وحققوها، وقيدوا شهواتهم بالخوف وأوثقوها[١]، وسابقوا الساعات بالطاعات فسبقوها، وخلَّصوا أعمالهم من أشراك الرياء وأطلقوها، وقهروا بالرياضة أغراض النفوس الردّية فمحقوها، فعن إبعاد مثلهم وقع نهي النبي ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾.

صعدت صحائفهم من الأكدار صافيهم، وارتفعت أعمالهم بالإخلاص ضافية، وأصبحت نفوسهم عن الدنيا متجافية، والناس في أخلاط والقوم في عافية، ففاق المؤلى منهم على الرئيس القرشيّ ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾.

دموعهم بالأحداق محدقة، ورؤوسهم في الأسحار مُطرقة، وأكُفّهم بما تسكبه في الخير مُنفِقة، ونفوسهم بعد الجد من اللوم مُشفِقة، يردون من حياض المصافاة على أوفَى الريّ ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾

١- جاهدوا الشيطان وأنفسهم فإن أعدى أعداء الأنسان نفسه التي بين جنبيه.

خلَّصوا الأعمال من الأكدار نفلًا وفرضًا، واجتهدوا في طاعة مولاهم ليرضى، وحضوا أنفسهم لطلب الحظ الأحظّ حَضًّا، وغضوا أبصارهم عن الشهوات غضًّا، فإذا أبصرتهم رأيت أجسادًا مَرْضى، وعيونًا قد ألفت السهر فما تكاد تطعم غمضًا، بادروا أعمالهم لعلمهم أنها ساعات تنقضي، فأمدهم بالعون السرمديّ ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾. ابتلاهم فرضوا وصبروا، وأنعم عليهم فاعترفوا وشكروا، وجاءوا بكل ما يرضى ثم اعتذروا، جاهدوا العدو فما انقشعت الحرب حتى ظفروا، فنالوا غاية الإمكان في المكان العليّ ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾. أهـ بتصرف واختصار

١٢ - شهد الله- عز وجل- للصحابة بالتقوى:

قال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ . (الفتح:٢٦)

وكلمة التقوى هي: "لا إله إلا الله" ومن ثم كان الصحابة أحق بكلمة التقوى، وكانوا أهلها، وهذا ثناء آخر من ربهم عليهم.. إلى جانب الامتنان عليهم بما أنزل على قلوبهم من سكينة، وما أودع فيها من تقوى، فهم قد استحقوها في ميزان الله، وبشهادته، وهو تكريم بعد تكريم.

١٣ - شهد الله لهم بأنهم سادات العباد، وأصحاب التواضع والخشوع والسمت الحسن:

قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ . (الفتح:٢٩)

والآية السابقة تضمنت ذكر منزلة الرسول ﷺ بالثناء عليه ثم ثنَّى الله– تعالى– فيها بالثناء على سائر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فذكر تعالى أن من صفاتهم الشدة والغلظة على أهل الكفر، كما وصفهم بالتراحم والتعاطف فيما بينهم، ووصفهم بأنهم يكثرون من الأعمال الصالحة المقرونة بالإخلاص وسعة الرجاء، وفي مقدمة تلك الأعمال الصالحة إكثارهم من الصلاة ابتغاء الحصول على فضل من الله ورضوان، كما بين سبحانه أن آثار ذلك يظهر على وجوههم ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾. والسيماء العلامة. وقد قيل المراد بها بياض يكون في الوجوه يوم القيامة. (قاله الحسن وسعيد بن جبير وهو رواية عن ابن عباس– رضي الله عنهما– ورواية أخرى عنه وعن مجاهد: السيماء في الدنيا هو السمت الحسن، وعن مجاهد أيضًا: هو الخشوع والتواضع [١].

١- انظر جامع البيان للطبري، وتفسير ابن كثير، تفسير القرطبي عند هذه الأية.

وهذه الأقوال لا منافاة بينهما إذ يمكن أن يكون في الدنيا هو السمت الحسن الذي ينشأ عن التواضع والخشوع، وفي الآخرة يكون في جباههم نور.[1]

قال ابن كثير –رحمه الله– في "تفسيره: ٦/٣٦٥": "فالصحابة– رضي الله عنهم– خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم فكل من نظر إليهم أعجبوه في سمتهم وهديهم، وقال مالك –رحمه الله–: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة– رضي الله عنهم– الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا. وصدقوا في ذلك فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله ﷺ، وقد نوه الله تبارك وتعالى بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة، ولهذا قال سبحانه ههنا **(ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ)** ثم قال **(وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ)** أي: فراخه، **(فَآزَرَهُ)** أي: شده وقواه، **(فَاسْتَغْلَظَ)** أي: شب وطال، **(فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ)** أي: فكذلك أصحاب رسول الله ﷺ آزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء مع الزرع **(لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ)** ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك –رحمه الله– في رواية عنه تكفير الروافض[2] الذين يبغضون الصحابة– رضي الله عنهم–، قال: لأنهم يغيظونهم ومن غاظه الصحابة– رضي الله عنهم– فهو كافر لهذه الآية ووافقه طائفة من العلماء رضي الله عنهم على ذلك ... ثم قال تبارك وتعالى: **(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم)** من هذه بيان الجنس **(مَّغْفِرَةً)** أي: لذنوبهم، **(وَأَجْرًا عَظِيمًا)** أي: ثوابًا جزيلًا ورزقًا كريمًا ووعد الله حق وصدق لا يخلف ولا يبدل، وكل من أقتفى أثر الصحابة رضي الله عنهم فهو في حكمهم، ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة، رضي الله عنهم وأرضاهم وجعل جنات الفردوس مأواهم وقد فعل. أهـ

قال ابن الجوزي–رحمه الله– في" تفسيره زاد المسير:٨/٤٤٩": وقوله تعالى: **﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾**" هذا الوصف لجميع الصحابة عند الجمهور ". أهـ

فمن كان متأسيًا فليتأسى بهم فإنهم أبر هذه الأمة قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا وأقومها هديًا وأحسنها حالًا.

هم الرجال بأفياء الجهاد نَموا ... وتحت سقف المعالي والندى وُلدوا
جباههم ما انحنت إلا لخالقها ... وغير ما أبدع الأكوان ما عبدوا
الخاطبون من الغايات أكرمها ... والسابقون وغير الله ما قصدوا

١- جامع البيان للطبري - رحمه الله -.
٢ـ الروافض: فرقة من غلاة الشيعة، وسموا بذلك؛ لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر- رضي الله عنهما- وهم يسبون معظم الصحابة.

١٤- الله -عز وجل- حبب إلى الصحابة الإيمان وزّينه في قلوبهم وكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان، ووصفهم بالرشاد:

قال تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ (الحجرات:٧)

وفي هذه الآية الكريمة بين تعالى أنه حبب إلى أصحاب رسول الله ﷺ الإيمان وزينه في قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان وجعلهم راشدين وذلك لكي يكونوا أهلًا لشرف الصحبة فأعدهم الله ذلك الإعداد الرفيع فاستحقوا بذلك أن يكونوا هم الراشدين كما نطقت به هذه الآية.

قال العلامة ابن جرير الطبري في تفسيره" جامع البيان: ١٢٥/٢٦" : يقول تعالى ذكره لأصحاب نبي الله ﷺ وأعلموا أيها المؤمنون بالله ورسوله (أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ) فاتقوا الله أن تقولوا الباطل، وتفتروا الكذب فإن الله يخبره أخباركم ويعرفه أنباءكم ويقومه على الصواب في أموره وقوله (لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ) يقول تعالى ذكره لو كان رسول الله ﷺ يعمل في الأمور بآرائكم ويقبل منكم ما تقولون له فيطيعكم (لَعَنِتُّمْ) يقول: لنالكم عنت يعني الشدة والمشقة في كثير من الأمور بطاعته إياكم لو أطاعكم، لأنه قد يخطئ في أفعاله لو أطاعكم، كما لو قبل من الوليد بن عقبة قوله في بني المصطلق: إنهم قد ارتدوا ومنعوا الصدقة وجمعوا الجموع، وقتلتم من لا يحل له ولا لكم قتله، وأخذ وأخذتم من المال ما لا يحل له ولكم أخذه من أموال قوم مسلمين، فنالكم من الله بذلك عنت (وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ) بالله ورسوله فأنتم تطيعون رسول الله وتأتمون به فيقيكم الله بذلك من العنت ما لو لم تطيعوه وتتبعوه وكان يطيعكم لنالكم وأصابكم، وقوله (وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ) يقول: وحسن الإيمان في قلوبكم فآمنتم، (وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ) بالله (وَالْفُسُوقَ) يعني الكذب (وَالْعِصْيَانَ) يعني ركوب ما نهى الله عنه في خلاف أمر رسول الله ﷺ وتضييع ما أمر الله به (أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) يقول هؤلاء الذين حبب الله إليهم الإيمان، وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون السالكون طريق الحق. أهـ بتصرف

وقال الشوكاني –رحمه الله– في" فتح القدير: ٦٠/٥" : عند قوله تعالى (وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ):" أي جعله أحب الأشياء إليكم، أو محبوبًا لديكم فلا يقع منكم إلا ما يوافقه ويقتضيه من الأمور الصالحة ". أهـ

وقال ابن القيم –رحمه الله– في" كتابه شفاء العليل ص٥٧": " أخبر سبحانه أنه جعل في قلوب عباده المؤمنين الأمرين، حبه وحسنه الداعي إلى حبه، وألقى في قلوبهم كراهة ضده من الكفر والفسوق والعصيان، وأن ذلك محض فضله ومنته عليهم، حيث لم يكلهم إلى أنفسهم بل تولى هو سبحانه هذا التحبيب والتزيين وتكريه ضده، فجاد عليهم به فضلًا منه ونعمة، والله عليم بمواقع فضله ومن يصلح له ومن لا يصلح، حكيم يجعله في مواضعه ". أهـ

١٥ - وعد الله- عز وجل-الصحابة ومن على طريقتهم بالإستخلاف في الأرض:

قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ . (النور:٥٥)

الوعد بالإستخلاف في هذه الآية عام يدخل تحته كل من تولى وظيفة من وظائف المسلمين من أمة محمد ﷺ، ولكن بشرط أن تتوفر الصفتان المذكورتان في الآية وهما: الإيمان، والعمل الصالح، فتشمل الخلافة وإقامة الدعوة وعموم الشريعة بنفاذ الوعد في كل أحد بقدره وعلى حاله، والخطاب في الآية موجه للنبي ﷺ ولمن معه فيندرج تحت هذا العموم جميع الصحابة والخلفاء الأربعة–رضي الله عنهم–، يدخلون فيه قبل كل من اتصف بالصفتين ممن جاء بعدهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في" كتابه منهاج السنة النبوية :١/٥٧":– موضحًا لمعنى آية النور السابقة–:" والآية التي ختمت بها سورة (الفتح): فقد وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالإستخلاف كما وعدهم في تلك مغفرة وأجرًا عظيمًا، والله لا يخلف الميعاد، فدل ذلك على أن الذين أستخلفهم كما أستخلف الذين من قبلهم ومكن لهم دين الإسلام وهو الدين الذي ارتضاه لهم كما قال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ وبدلهم بعد خوفهم أمنًا، لهم المغفرة والأجر العظيم، وهذا يستدل به من وجهين: على أن المستخلفين مؤمنون وعملوا الصالحات لأن الوعد لهم لا لغيرهم. ويستدل به على أن هؤلاء مغفور لهم، ولهم أجر عظيم لأنهم آمنوا وعملوا الصالحات فتناولتهم الآيتان آية (النور) وآية (الفتح) ومن المعلوم أن هذه النعوت منطبقة على الصحابة –رضي الله عنهم–على زمن أبي بكر وعمر وعثمان، فإنه إذ ذاك حصل الإستخلاف وتمكن الدين بعد الخوف لما قهروا فارس والروم وفتحوا الشام والعراق ومصر وخراسان وأفريقية.. وحينئذ فقد دل القرآن على إيمان أبي بكر وعمر وعثمان ومن كان معهم في زمن الإستخلاف والتمكين والأمن، وأدركوا زمن الفتنة كعلي وطلحة والزبير وأبي موسى الأشعري ومعاوية وعمرو بن العاص دخلوا في الآية لأنهم استخلفوا ومكنوا وأمنوا. أهـ بتصرف واختصار

١٦- وصف الله -عز وجل- المهاجرين بالصادقين، والأنصار بالمفلحين:

قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر:٨-٩)

فجميع الصحابة من المهاجرين اندرجوا تحت وصف الصادقين، فقد أكرههم على الخروج الأذى والاضطهاد والتنكر من قرابتهم وعشيرتهم في مكة، لا لذنب إلا أن يقولوا ربنا الله .... وقد خرجوا تاركين ديارهم وأموالهم (يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا) اعتمادهم على الله في فضله ورضوانه، لا ملجأ لهم سواه، ولا جناب لهم إلا حماه. وهم مع أنهم مطاردون قليلون (وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) بقلوبهم وسيوفهم في أحرج الساعات وأضيق الأوقات (أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) الذين قالوا كلمة الإيمان بألسنتهم، وصدقوها بعملهم، وكانوا صادقين مع الله في أنهم اختاروه، وصادقين مع رسوله في أنهم اتبعوه، وصادقين مع الحق في أنهم كانوا صورة منه تدب على الأرض ويراها الناس!

و(الْمُفْلِحُونَ) وصف دخل تحته جميع الأنصار، صورة وضيئة صادقة للأنصار، وملامح مميزة لهذه المجموعة التي تفردت بصفات، وبلغت إلى آفاق، لولا أنها وقعت بالفعل، لحسبها الناس أحلامًا طائرة ورؤى مجنحة ومثلًا عليًا قد صاغها خيال محلق.

(وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ) أي دار الهجرة يثرب مدينة الرسول ﷺ وقد تبوأها الأنصار قبل المهاجرين، كما تبوأوا فيها الإيمان، وكأنه منزل لهم ودار، وهو تعبير ذو ظلال، وهو أقرب ما يصور موقف الأنصار من الإيمان، لقد كان دارهم ونزلهم ووطنهم الذي تعيش فيه قلوبهم، وتسكن إليه أرواحهم، ويثوبون إليه ويطمئنون له، كما يثوب المرء ويطمئن إلى الدار.

(يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا) ولم يعرف التاريخ كله حادثًا جماعيًا كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين.. بهذا الحب الكريم، وبهذا البذل السخي وبهذه المشاركة الرضية، وبهذا التسابق إلى الإيواء واحتمال الأعباء، حتى ليروى أنه لم ينزل مهاجر في دار أنصاري إلا بقرعة، لأن عدد الراغبين في الإيواء المتزاحمين عليه أكثر من عدد المهاجرين!

(وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا) مما يناله المهاجرون من مقام مفضل في بعض المواضع، ومن مال يختصون به كهذا الفيء، فلا يجدون في أنفسهم شيئًا من هذا، ولا يقول: حسدًا ولا ضيقًا. إنما يقول (حَاجَةً) مما يلقى ظلال النظافة الكاملة لصدورهم والبراءة المطلقة لقلوبهم، فلا تجد شيئًا أصلًا.

(وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) والإيثار على النفس مع الحاجة قمة عليا، وقد بلغ إليها الأنصار بما لم تشهد البرية له نظيرًا، وكانوا كذلك في كل مرة وفي كل حالة بصورة خارقة لمألوف البشر قديمًا وحديثًا.

١٧- أعطى الله تعالى الصحابة الذين أنفقوا قبل الفتح وقاتلوا الأجر الكبير والفضل العظيم:

قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ . (الحديد:١٠)

قال ابن كثير –رحمه الله– في "تفسيره: ٤/٢٩٦": " والجمهور على أن المراد بالفتح ههنا فتح مكة، وعن الشعبي وغيره أن المراد بالفتح ههنا صلح الحديبية ".

وقوله تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ يعني المنفقين قبل الفتح وبعده كلهم لهم ثواب على ما عملوا، وإن كان بينهم تفاوت في تفاضل الجزاء كما قال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ . (النساء:٩٥)

وإنما نبه بهذا لئلا يهدر جانب الآخر بمدح الأول دون الآخر فيتوهم متوهم ذمه، فلهذا عطف بمدح الآخر والثناء عليه مع تفضيل الأول عليه، لهذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي فلخبرته فاوت بين ثواب من أنفق من قبل الفتح وقاتل، ومن فعل بعد ذلك، وما ذاك إلا لعلمه بقصد الأول وإخلاصه التام وإنفاقه في حال الجهد والقلة والضيق، وفي الحديث: "سبق درهم مئة ألف"[٢] ولا شك عند أهل الإيمان أن الصديق أبا بكر ﷺ له الحظ الأوفر من هذه الآية فإنه سيد من عمل بها من سائر أمم الأنبياء، فإنه أنفق ماله كله ابتغاء وجه الله ﷻ، ولم يكن لأحد عنده نعمة يجزيه بها. أهـ باختصار

وقد أستدل ابن حزم– رحمه الله– بالآية السابقة على أن الصحابة جميعًا من أهل الجنة لقوله عز وجل: (وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ). (الفصل في الملل والنحل:٤/١٤٨)

وقال الفخر الرازي في الآية السابقة: " وأعلم أن الآية دلت على أن من صدر عنه الإنفاق في سبيل الله، والقتال مع أعداء الله قبل الفتح، يكون أعظم حالاً ممن صدر عنه هذان الأمران بعد الفتح..." *إلى أن قال:"* وكل واحد من الفريقين وعد الله الحسنى، أي: المثوبة. وهي: الجنة، مع تفاوت الدرجات ". أهـ

(التفسير الكبير:٢٩/٢٢٠)

١- الحسنى: الجنة وقال ذلك مجاهد وقتادة. (تفسير الطبري:٢٧/١٢٨)
٢- حديث حسن: ونص الحديث: "سبق درهم مئة ألف درهم: رجل له درهمان أخذ أحدهما فتصدق به، ورجل له مال كثير فأخذ من عُرضه مئة ألف فتصدق بها". أخرجه النسائي عن أبي ذر- رضي الله عنه - وهو في (صحيح الجامع:٣٦٠٦)

١٨ - الصحابة-رضي الله عنهم- يدخلون تحت كل آية فيها ثناء على المؤمنين، وكل وعد بالجنة هم أولى به:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد:٢٨)

جاء في سنن سعيد بن منصور عن سفيان-رحمه الله- قال في تفسيره الآية السابقة: "هم أصحاب محمد" (الدر المنثور:٨/٤١٨)

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَـئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ (البقرة:١٢١)

قال قتادة-رحمه الله-: "هم أصحاب محمدﷺ، آمنوا بكتاب الله، وعملوا بما فيه ". أهـ (فتح الباري:١٣/٥٠٨)

وكل آية فيها ثناء على المؤمنين ووعد لهم بالجنة يدخل فيها الصحابة دخولًا أوليًا قبل كل أحد، **كقوله تعالى:** ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ **إلى قوله تعالى:** ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ . (المؤمنون: ١-١١)

وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ (الأنفطار:١٣)

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (٢١) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ (المطففين:١٨-٢٨)

وقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (الواقعة:١٠-١١)

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ (الإنسان:٥)

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ (مريم:٩٦)

والآيات في هذا المقام أكثر من أن تُحصى، وأولى الناس دُخُولا فيها أصحاب النبي ﷺ، ويجب أن نعلم أن فضل وعدالة الصحابة- رضي الله عنهم- في القرآن لا تُمثّلها آيات محدودة مخصوصة، إنما القرآن كُلُه شاهدٌ على عدالتهم وفضلهم واستقامتهم.

لله در الصحابة وما أطيب ما خلعه الله عليهم في القرآن من صفات ونعوت:

فهم (**الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا**)، وهم (**الرَّاشِدُونَ**)، وهم (**الْفَائِزُونَ**)، وهم (**الصَّادِقُونَ**)، وهم من (**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**)، وهم (أهل التوبة والرحمة)، وهم (المبشرون من ربهم)، وهم (**خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**)، وهم (الأمة الوسط)، وهم (الشهداء على الناس يوم القيامة) وهم (**أَهْلُ التَّقْوَىٰ**)، وهم (غيظ الكفار).

١٩ - الصحابة -رضي الله عنهم- لهم الكرامة والنور التام يوم القيامة.

فهم أولى الناس بالتكريم في هذا اليوم العصيب:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (التحريم:٨)

إنه التكريم العظيم، أن يضم الله المؤمنين، وأولهم وأعلاهم الصحابة، إلى النبي ﷺ فيجعلهم معه صفًا يتلقى الكرامة في يوم الخزي، ثم يجعل لهم نورًا يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، نورًا يعرفون به في ذلك اليوم الهائل المائج العصيب الرهيب، ونورًا يهتدون به في الزحام المريج، ونورًا يسعى بين أيديهم وبأيمانهم إلى الجنة في نهاية المطاف.

والصحابة هم أتم الناس وأكملهم – بعد الأنبياء– نورًا على الصراط وذلك فضل الله العظيم عليهم وإكرامهم العظيم لهم حتى يدخلوا إلى منازلهم في الجنة. وهي أعلى المنازل مع النبيين فلقد آمنوا بالله وصدقوا المرسلين. وهم في رهبة الموقف وشدته يلهمون الدعاء الصالح بين يدي الله: (يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).. وإلهامهم هذا الدعاء في هذا الموقف الذي يلجم الألسنة ويسقط القلوب هو علامة الاستجابة. فما يلهم الله المؤمنين هذا الدعاء إلا وقد جرى قدره بأنه سيستجيب. فالدعاء هنا نعمة يمن الله بها عليهم تُضاف إلى مِنَّة الله بالتكريم وبالنور، قال ابن عباس– رضي الله عنهما–: يقولون ذلك عند انطفاء نور المنافقين إشفاقًا، وعن الحسن –رحمه الله– قال: إن الله– تعالى– متمم لهم نورهم ولكنهم يدعون تقربًا إلى حضرة الله– تعالى–، كقوله تعالى: (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ) وهو مغفور له.

٢٠ - شهادة الله -عز وجل- للصحابة -رضي الله عنهم- بالفوز بالجنات وعظيم الدرجات، وهم المبشرون من ربهم بأعلى النعيم

قال تعالى: ﴿لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة:٨٨–٨٩) ففي هذه الآية شهد الله لهم بالإيمان، وأنهم جاهدوا بأموالهم وأنفسهم، وأن لهم الخيرات، ووصفهم بالفلاح، ووعدهم بالجنة خالدين فيها.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (البينة:٧–٨)

وقال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾. (التوبة:٢١)

وقال تعالى: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (التوبة:٨٩)

والآيات في هذا المعنى كثيرة يصعب حصرها، فرضي الله عن الصحابة وجمعنا بهم في دار الخلد مع الحبيب النبي ﷺ.

ثانياً: فضائل الصحابة من السنة المطهرة:

١ - الصحابة-رضي الله عنهم- أمنة للأمة المحمدية:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث سعيد بن أبي بُردةعن أبيه ﷺ قال: " صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ قَالَ فَجَلَسْنَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: "مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا؟" قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ، قَالَ: "أَحْسَنْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ" قَالَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ:" النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ[١]، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ ".

قال أبو حاتم محمد بن حبان البستي مبينًا معنى هذا الحديث: " ويشبه أن يكون معنى هذا الخبر أن الله– جل وعلا– جعل النجوم علامة لبقاء السماء وأمنة لها عن الفناء، فإذا غارت واضمحلت أتي السماء الفناء الذي كتب عليها، وجعل الله– جل وعلا– المصطفى ﷺ أمنة أصحابه من وقوع الفتن، فلما قبضه الله– جل وعلا– إلى جنته أتى أصحابه الفتن التي أوعدوا وجعل الله أصحابه أمنة أمته من ظهور الجور فيها، فإذا مضى أصحابه أتاهم ما يوعدون من ظهور غير الحق من الجور والأباطيل[٢] ". أهـ

وقال النووي–رحمه الله– في "شرحه على مسلم: ١٦/٨٣": " ومعنى الحديث أن النجوم ما دامت باقية فالسماء باقية فإذا انكدرت النجوم وتناثرت في القيامة وهنت السماء فانفطرت وانشقت وذهبت وقوله ﷺ: " وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون" أي: من الفتن والحروب وارتداد من ارتد من الأعراب واختلاف القلوب ونحو ذلك مما أنذر به صريحًا وقد وقع كل ذلك، قوله ﷺ "وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتى ما يوعدون" معناه: من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه وطلوع قرن الشيطان وظهور الروم وغيرهم، وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك، وهذه كلها من معجزاته ﷺ ". أهـ

فهذا الحديث تضمن فضيلة الصحابة – رضي الله عنهم– على وجه عام، كما اشتمل على بيان منزلتهم ومكانتهم العالية في الأمة، وأنهم في الأمة بمنزلة النجوم من السماء.

١- أمنة للسماء: قال العلماء: الأمنة والأمن والأمان بمعني واحد، والحديث معناه: أن النجوم مادامت باقية فالسماء باقية، فإذا انكدرت النجوم وتناثرت يوم القيامة وهنت السماء وانشقت وذهبت "

٢- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان للأمير علاء الدين أبي الحسن على بن بلبان الفارسي.

٢- خير القرون قرن الصحابة - رضي الله عنهم-:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: " سأل رجل النبي ﷺ أي الناس خير؟ قال: "القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث ".

قال الإمام النووي-رحمه الله- في "شرحه على مسلم: ٨/٣١٤": " اتفق العلماء على أن خير القرون: قرنه ﷺ، والمراد أصحابه ". (وكذا قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-في الفتح:٧/٤٢٣)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: " سُئِل رسول الله ﷺ أي الناس خير؟ قال: "قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، وفي رواية: " خير أمتي قومي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم". ثم يجيء أقوام تبدر شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته". وعند البخاري: " تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته ".

وأخرج الطبراني في الكبير من حديث ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " خير الناس قرني، ثم الثاني، ثم الثالث، ثم يجيء قوم لا خير فيهم ".(صحيح الجامع : ٣٢٩٣)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث عمران بن حصين ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إن خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم" قال عمران: فلا أدري، قال رسول الله ﷺ بعد قرنه مرتين أو ثلاثة ".
وفي رواية: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة ".

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " خير أمتى القرن الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم ". والله أعلم أذكر الثالث أم لا، قال:" ثم يخلف قوم يحبون السمانة ويشهدون قبل أن يستشهدوا ".

وأخرج الترمذي والحاكم من حديث عمران بن حصين ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يأتي من بعدهم قوم يتسمَّنون، ويحبون السمن، يعطون الشهادة قبل أن يُسألوها ". (الصحيحة: ٦٩٩)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث عمران بن حصين ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يكون بعدهم قوم يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يُستشهدون، وينذرون ولا يُوفون، ويظهر فيهم السمن ".

ففي آخر الزمان يظهر أناس- من أوصافهم- أنهم يشهدون ولا يستشهدون، وهذان الوصفان من التساهل بالشهادة على الآخرين بغير علم ولا طلب، وكثرة النذر مع عدم الوفاء به، وهذا إن دَلَّ فإنما يدل على رقة في الدين، وضعف في الإيمان، أما بالنسبة لكثرة السِّمَن الذي يظهر في آخر الزمان، فلعله بسبب انتشار الترف وكثرة وتنوع الطعام والشراب، وقلة حركة الناس بسبب التقدم العلمي، وبسبب الأجهزة الحديثة التي تخدم الإنسان في حياته المعيشية، وقد ذكرت الإحصاءات أن ١/٦ (سُدس) سكان العالم يعانون من زيادة الوزن.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في مجموع الفتاوى:٣٨٨/٢٧": " الصحابة- رضوان الله عليهم- خير قرون هذه الأمة، التي هي خير أمة أخرجت للناس، وهم الذين تلقوا الدين عن النبيﷺ بلا واسطة، ففهموا مقاصده ﷺ، وعاينوا أفعاله وسمعوا منه شفاهًا ما لم يحصل لمن بعدهم". أهـ

مبحثان:

المبحث الأول: **ما المقصود بالقرن؟**

اختلف العلماء في تحديد القرن على أقوال: **القول الأول:** وصححه النووي في" شرح مسلم ٣٩٣/٥" أن قرن النبي ﷺ هم الصحابة، والثاني التابعون، والثالث: تابعوهم.

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله- في "فتح الباري: ٥/٧": "والمراد بقرن النبي ﷺ في هذا الحديث الصحابة وفي صفة النبي ﷺ: **"وبعثت في خير قرون بني أدم"**. (أخرجه البخاري)

وعند أحمد من رواية بريدة ﷺ: "**خير هذه الأمة القرن الذي بعثت فيهم**". وقد ظهر أن الذي بين البعثة وأخر من مات من الصحابة مئة وعشرون سنة أو دونها أو فوقها بقليل على الاختلاف في وفاة أبي الطفيل، وإن اعتبر ذلك من بعد وفاته ﷺ فيكون مئة وسنة أو تسعين أو سبعًا وتسعين وأما قرن التابعين فإن اعتبر من سنة مئة كان نحو سبعين أو ثمانين. وأما الذين بعدهم فإن اعتبر منها كان نحوًا من خمسين فظهر بذلك أن مدة القرن تختلف باختلاف أهل كل زمان. واتفقوا على أن أخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله من عاش إلى حدود العشرين ومئتين، وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهورًا فاشيًا، وأطلقت المعتزلة ألسنتها ورفعت الفلاسفة رؤوسها وأمتحن أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن وتغيرت الأحوال تغيرًا شديدًا ولم يزل الأمر في نقص إلى الآن وظهر قوله ﷺ:" **ثم يفشوا الكذب**" ظهورًا بينًا حتى يشمل الأقوال والأفعال والمعتقدات والله المستعان.

أما القول الثاني: فذكره ابن حجر-رحمه الله- وهو أن المراد بالقرن أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة، ويقال: إن ذلك مخصوص بما إذا اجتمعوا في زمن نبي أو رئيس يجمعهم على ملة أو مذهب أو عمل.

القول الثالث: هو أن القرن مئة عام، واستدل القائلون بهذا القول بما أخرجه أحمد "١٨٩/٤" بإسناد صحيح عن أبي عبد الله الحسن بن أيوب الحضرمي: أراني عبد الله بن بسر شامة في قرنه فوضعت أصبعي عليها فقال: وضع رسول الله ﷺ أصبعه عليها ثم قال: "**لتبلغن قرنًا**" قالوا: وقد عاش عبد الله بن بسر مئة سنة كما قال ابن حجر في التهذيب والتقريب وابن سعد في الطبقات، فدل ذلك على أن القرن مئة سنة، وقد ورد في عمر عبد الله بعض الاختلاف.

وعلى الأقوال الثلاثة فالصحابة داخلون في القرن الأول.

المبحث الثاني: **في قول النبي ﷺ: " خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ". فهل الخيرية بالنسبة إلى المجموع أم الأفراد؟ ".**

ذهب جمهور أهل العلم إلى أن الأفضلية والخيرية بالنسبة للأفراد، فالصحابة أفضل من التابعين، والتابعون أفضل من أتباع التابعين.

بينما ذهب ابن عبد البر –رحمه الله– إلى أن الأفضلية والخيرية بالنسبة للمجموع[١] واستدل بما يلي:

١– ***قوله ﷺ:*** **"مثل أمتي مثل المطر لا يدري أوله خير أم آخره"** (وهو حديث رواه الإمام أحمد والترمذي)

٢– ***ما رواه ابن أبي شيبة من حديث عبد الرحمن بن جبير بن نفير أحد التابعين بإسناد حسن قال: قال رسول الله ﷺ:*** **" ليدركن المسيح أقوامًا إنهم لمثلكم أو خير – ثلاثًا– ولن يخزي الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها".**

٣– ***روى أبو داود والترمذي من حديث أبي ثعلبة ﷺ رفعه:*** **" تأتي أيام للعامل فيهن أجر خمسين" قيل: منهم أو منا يا رسول الله؟ "قال بل منكم".** وهو شاهد الحديث **" مثل أمتي مثل المطر".**

٤– ***واحتج بحديث عمر ﷺ رفعه:*** **"أفضل الخلق إيمانًا قوم في أصلاب الرجال يؤمنون بي ولم يروني"**

(الحديث أخرجه الطيالسي وغيره لكن إسناده ضعيف فلا حجة فيه)

٥– ***روى أحمد والدارمي والطبراني من حديث أبي جمعة قال:*** **" قال أبو عبيدة يا رسول الله أحد خير منا؟ أسلمنا معك وجاهدنا معك قال: "قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني".** (إسناده حسن وقد صححه الحاكم)

٦– احتج بأن السبب في كون القرن الأول خير القرون أنهم كانوا غرباء في إيمانهم لكثرة الكفار حينئذ وصبرهم على أذاهم وتمسكهم بدينهم، قال فكذلك أواخرهم إذا أقاموا الدين وتمسكوا به وصبروا على الطاعة حين ظهور المعاصي والفتن كانوا أيضًا غرباء عند ذلك غرباء، وزكت أعمالهم في ذلك الزمان كما زكت أعمال أولئك ويشهد له ما رواه مسلم عن أبي هريرة ﷺ رفعه: **"بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء".** وقد تعقب الحافظ ابن حجر –رحمه الله– كلام ابن عبد البر بأن مقتضى كلامه أن يكون فيمن يأتي بعد الصحابة من يكون أفضل من بعض الصحابة وبذلك صرح القرطبي، لكن كلام ابن عبد البر ليس على الإطلاق في حق جميع الصحابة، فإنه صرح في كلامه باستثناء أهل بدر والحديبية. نعم والذي ذهب إليه الجمهور أن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول الله ﷺ، وأما من اتفق له الذب عنه والسبق إليه بالهجرة أو النصرة وضبط الشرع المتلقى عنه وتبليغه لمن بعده فإنه لا يعدله أحد ممن يأتي بعده، لأنه ما من خصلة من الخصال المذكورة إلا وللذي سبق بها مثل أجر من عمل بها من بعده فظهر فضلهم، ومحصل النزاع يتمحض فيمن لم يحصل له إلا مجرد المشاهدة، فإن جمع بين مختلف الأحاديث المذكورة كان متجهًا على أن حديث" **للعامل منهم أجر خمسين منكم**" لا يدل على أفضلية غير الصحابة على الصحابة لأن مجرد زيادة الأجر لا يستلزم ثبوت الأفضلية المطلقة. وأيضًا: فالأجر إنما يقع تفاضله بالنسبة إلى ما يماثله في ذلك

١- وقول ابن عبد البر ليس على إطلاقه في حق الصحابة فإنه أستثنى أهل بدر والحديبية (أنظر فتح الباري :٧/٧).

العمل فأما ما فاز به من شاهد النبي ﷺ من زيادة فضيلة المشاهدة فلا يعدله فيها أحد فبهذه الطريق يمكن تأويل الأحاديث، وأما حديث أبي جمعة فلم تتفق الرواة على لفظه، فقد رواه بعضهم بلفظ الخيرية كما تقدم ورواه بعضهم بلفظ "قلنا يا رسول الله هل من قوم أعظم منا أجرًا؟" الحديث أخرجه الطبراني وإسناد هذه الرواية أقوى من إسناد الرواية المتقدمة وهي توافق حديث أبي ثعلبة وقد تقدم الجواب عنه والله أعلم.

(انظر فتح الباري: ٧/٧٠٦)

والراجح من القولين ما ذهب إليه جمهور العلماء من أن أفضيلة الصحابة إنما هو باعتبار الأفراد وليس بالنسبة إلى المجموع إذ الصحبة لا يعدلها شيء ولمشاهدتهم النبي ﷺ وذبهم عنه ونصرة دين الإسلام وحرصهم على ضبط الوحي الذي تلقوه عن النبي ﷺ، وتبليغهم إياه إلى من بعدهم ولأن ما هنا خصلة من أعمال الخير إلا سبقوا إليها، ويكون لهم أجرها وأجر من عمل بها بعدهم إلى يوم القيامة، وبهذا برز فضلهم على من بعدهم ومن قبلهم من الأمم سوى الأنبياء– عليهم الصلاة والسلام–.

٣- ببركة الصحابة-رضي الله عنهم- تفتح الأمصار وتعمر البلاد:

فقد أخرج البخاري ومسلم واللفظ له عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **"يأتي على الناس زمان يغزو فئام[1] من الناس، فيقال لهم: فيكم من صَحِبَ رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نَعَمْ، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس، فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صَحِبَ رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس، فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صَحِبَ من صَحِبَ رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم".**

ولفظ البخاري: **"يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس، فيقولوا: فيكم من صاحب رسول الله ﷺ؟"**

وفي رواية عند مسلم: **"أفيكم من رأى رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال: فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزون فئام من الناس فيقال لهم: هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم".**

فيا له من تكريم سامق وعال حظي به أصحاب رسول الله ﷺ الذي ما كان ولم يكن لأحد سواهم بعد الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام–.

قال الإمام النووي –رحمه الله– في "شرحه على مسلم: ١٦/٨٣": "وفي هذا الحديث معجزات الرسول ﷺ وفضل الصحابة والتابعين وتابعيهم". أهـ

تنبيه: والسؤال عن أصحاب النبي ﷺ ومن رآهم ومن رأى من رآهم هو رجاء بركتهم ودعائهم، وقد ذكر البخاري هذا الحديث أيضًا في" كتاب الجهاد – باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب" قال الحافظ معلقًا على هذا التبويب:" أي ببركتهم ودعائهم".

١- الفئام: الجماعة، وقيل: الجماعة الكثيرة (النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ٣/٤٠٦) (لسان العرب ٣٣٣٦)

٤- الناس بخير ما دام فيهم الصحابة-رضي الله عنهم-:

فقد أخرج الإمام أحمد وابن أبي شيبة في مصنفه عن واثلة بن الأسقع ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:
" لا تزالون بخير ما دام فيكم من رآني وصَحِبَني، والله لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأى من رآني وصاحب من صَحِبَني ". (قال الحافظ في "الفتح: ٧/٧٠": إسناده حسن)

٥- دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- لسامعي سنته ومبلغيها بالنضرة والرحمة:

والصحابة رضي الله عنهم يدخلون في هذه الدعوة المباركة الميمونة دخولا أوليًا لأنهم هم الذين سمعوا سنته مباشرة ودون واسطة وأدوها إلى ما بعدهم، وهذه خصيصة لهم رضي الله عنهم تميزوا بها دون غيرهم، فرضوان الله عليهم أمين.

فقد أخرج الترمذي من حديث زيد بن ثابت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " نضَّر اللهُ امرءًا سمع منا حديثًا، فحفظه حتى يبلِّغه غيره، فرب حاملِ فقهٍ إلى من هو أفقه، ورُبّ حامل فقه ليس بفقيه ".

(الصحيحة: ٤٠٣) (صحيح الجامع: ٦٧٦٣)

وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" نضَّر اللهُ امرءًا سمع منا شيئًا، فبلغه كما سمعه، فربَّ مُبلَّغٍ أوعَى من سامع ".

(صحيح الترغيب والترهيب:٨٤) (صحيح الجامع: ٦٧٦٤)

وأخرج الإمام أحمد وابن ماجه من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" نضَّر الله عبدًا سمع مقالتي فوعاها، ثم بلغها عني فربَّ حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه" (صحيح الجامع: ٦٧٦٥)

قال الخطابي-رحمه الله- في كتابه "معالم السنن: ٤/١٨٧":" معناه الدعاء له بالنضارة وهي النعمة والبهجة".

وقال ابن الأثير-رحمه الله- في كتابه "النهاية في غريب الحديث: ٥/٧١":" ويروى بالتخفيف والتشديد من النضارة وهي في الأصل حسن الوجه، والبريق وإنما أراد حسن خلقه وقدره ". أهـ

وقال الحافظ المنذري-رحمه الله- في كتابه "الترغيب والترهيب: ١/١٠٨":" ومعناه الدعاء له بالنضارة وهي النعمة والبهجة والحسن فيكون تقديره: جمَّله الله وزينه، وقيل غير ذلك ". أهـ

وقال أبو بكر بن العربي-رحمه الله- كما في "عارضة الأحوذي بشرح الترمذي: ١٠/١٣٤":" والنضرة هي النعمة والبهاء يكون على الوجه ". أهـ

وقال الملا على القاري في كتابه "المرقاة شرح المشكاة ":" والمعنى خصه الله بالبهجة والسرور لما رزق بعلمه ومعرفته عن القدر والمنزلة بين الناس في الدنيا ونعمه في الآخرة حتى يرى عليه رونق الرخاء والنعمة، ثم قيل: إنه إخبار، يعني جعله ذا نضرة، وقيل: دعاء بالنضرة وهي البهجة والبهاء في الوجه من أثر النعمة، وقيل: المراد ههنا النضرة من حيث الجاه والقدر كما جاء اطلبوا الحوائج من حسان الوجوه أي: ذوي الأقدار من الناس، ثم قال القاري: لا مانع من الجميع والإخبار أولى من الدعاء ". أهـ

٦- والصحابة-رضي الله عنهم- دعا لهم النبي- صلى الله عليه وسلم- بالمغفرة:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ، قال:" خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرونَ في غداةٍ باردةٍ فلم يكن لهم عبيدٌ يعملون ذلك لهم، فلما رآى ما بهم من النَّصب والجُوع، قال:" اللهم إن العيش عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة ". فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمدا   على الجهاد ما بقينا أبدا

وفي لفظ آخر: جعل المهاجرون والأنصار يحفرن الخندق حول المدينة، وينقلون التراب على متونهم، ويقولون:

نحن الذين بايعُوا محمدًا   على الإسلام ما بقينا أبدًا

والنبي ﷺ يجيبهم ويقول:" اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة، فبارك في الأنصار والمهاجرة ".

٧- ودعا لهم النبي -صلى الله عليه وسلم- ألا يبطل الله هجرتهم ولا ينقصها:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:" اللهم امضِ لأصحابي هجرتهم، ولا تردهم على أعقابهم ".

٨- وصى النبي -صلى الله عليه وسلم- بالصحابة-رضي الله عنهم-:

فقد أخرج ابن ماجه من حديث عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "احفظوني [١] في أصحابي، ثم الذين يَلُونَهُم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب، حتى يشهد الرجل، وما يستشهد [٢]، ويحلف وما يُستَحلف [٣] ".

(الصحيحة: ١١١٦) (صحيح الجامع: ٢٠٦)

وأخرج الإمام أحمد وابن ماجه من حديث جابر بن سمرة ﷺ قال: خطب عمر الناس بالجَابية فقال:" إن رسول الله ﷺ قام في مثل مقامي هذا فقال: "احسنوا إلى أصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ..."

(الصحيحة: ٤٣٠)

وعند الحميدي بلفظ: "أكرموا أصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ...". الحديث.

وعند الترمذي بلفظ: "أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ...". الحديث.

وعند الإمام أحمد والنسائي والحاكم أن النبي ﷺ قال: "أكرموا أصحابي، فإنهم خياركم ".

(صححه الشيخ أحمد شاكر في تحقيق المسند)

وقال عليٌّ ﷺ: الله اللهَ في أصحاب نبيكم!! فإنه أوصى بهم". (الهيثمي، الصواعق المحرقة صـ١٥)

١- احفظوني في أصحابي: أي: اعرفوا حقهم وعظموهم.
٢- ما يستشهد: أي دون أن تطلب منه الشهادة، وهو كاذب في ذلك.
٣- ما يستحلف: أي دون أن يطلب منه الحلف، وهو كاذب في ذلك.

٩- الصحابة-رضي الله عنهم- لا يدركهم أحد في فضلهم ومكانتهم:

فإن القليل من عملهم لا يوازيه عمل غيرهم مها بلغ من الكثرة ومهما بلغ صاحبه من الإخلاص والصدق واليقين، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال النبي ﷺ: "لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحُد ذهبًا ما بلغ مُدّ [١] أحدهم ولا نصيفه [٢] ".

وفي رواية عند مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي! فوالذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أُحُد ذهبًا ما أدرك مُدّ أحدهم ولا نصيفه ".

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في "فتح الباري:٧/٤٢": قال البيضاوي -رحمه الله-: معنى الحديث: لا ينال أحدكم بإنفاق مثل أُحُد ذهبًا من الفضل والأجر ما ينال أحدهم بإنفاق مُدّ طعام أو نصيفه، وسبب التفاوت ما يقارن الأفضل من مزيد الإخلاص وصدق النية. أهـ

وقال أبو محمد بن حزم في شرحه لهذا الحديث: فكان نصف مد شعير أو تمر في ذلك الوقت أفضل من جبل أحد ذهبًا ننفقه نحن في سبيل الله تعالى بعد ذلك قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ وهذا في الصحابة فيما بينهم فكيف بمن بعدهم معهم رضي الله عنهم أجمعين. أهـ (المفاضلة بين الصحابة: ص١٧٧)

وقال أحمد بن محمد أبو سليمان الخطابي -رحمه الله- تعالى في "معالم السنن: ٤/٣٠٨": والمعنى أن جهد المقل منهم واليسير من النفقة الذي أنفقوه في سبيل الله مع شدة العيش والضيق الذي كانوا فيه أوفى عند الله وأزكي من الكثير الذي ينفقه من بعدهم. أهـ

ونقل الإمام النووي -رحمه الله- في "شرحه على مسلم: ١٦/٩٣" عن القاضي عياض: ... وسبب تفضيل نفقتهم أنها كانت في وقت الضرورة وضيق الحال بخلاف غيرهم، ولأن إنفاقهم كان في نصرته ﷺ وحمايته وذلك معدوم بعده، وكذا جهادهم وسائر طاعتهم، وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ هذا كله مع ما كان في أنفسهم من الشفقة والتودد والخشوع والتواضع والإيثار والجهاد في الله حق جهاده وفضيلة الصحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل ولا تنال درجتها بشيء، والفضائل لا تؤخذ بقياس، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .أهـ

وأخرج الإمام أحمد من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " دعوا لي أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد ذهبًا ما بلغتم أعمالهم". (الصحيحة:١٩٢٣) (صحيح الجامع:٣٣٨٦)

وأخرج ابن ماجه وابن أبي عاصم في "السنة" وابن بطة بسند صحيح أن ابن عمر-رضي الله عنهما- قال:

" لا تسبوا أصحاب محمد فلمقامُ أحدِهم ساعةً مع النبيِّ ﷺ خيرٌ من عمل أحدكم أربعين سنةً "،

وفي رواية وكيع: " خير من عبادة أحدكم عمره ". (منهاج السنة النبوية: ١/١٥٤) (وحسنه الألباني)

١- المد: ضرب من المكاييل، وهو ربع صاع وهو قدر مد النبي ﷺ وجاء في لسان العرب أيضًا: قيل إن أصل المد مقدر بأن يمد الرجل يديه فيملأ كفيه طعامًا.
٢- نصيفه: قال الترمذي: أي نصف المد.

وروى أبو داود بإسناده إلى سعيد بن زيد ﷺ أنه قال في الصحابة: " لمشهدُ رجُلٍ منهم مع رسولِ الله ﷺ يُمَتِّعُ بها وجهه خيرٌ من عمل أحدكم ولو عُمِّرَ عُمْرَ نوحٍ ".

فسعيد بن زيد ﷺ يريد بهذا عموم الصحابة- رضي الله عنهم- أجمعين.

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله- في" فتح الباري:٧/٢٣ ٤": والذي ذهب إليه الجمهور: أن فضيلة الصحبة لا يعدلها عملٌ، لمشاهدة الرسول ﷺ، وأما من اتفق له الذبُّ عنه والسبق إليه بالهجرة، أو النصرة وضبط الشرع المتلقَّى عنه، وتبليغه لمن بعده، فإنه لا يعدله أحدٌ ممن يأتي بعده، لأنه ما من خصلةٍ من الخصال المذكورة إلا وللذي سبق بها مثل أجر من عمل بها من بعدُ فظهر فضلهم ". أهـ

وقال المناوي-رحمه الله- في "فيض القدير: ٢/٥٥٣": ويظهر هذا الإكرام في أعمالهم وأخلاقهم وتوحيدهم ومنازلهم في الجنة ومقامهم في الموقف، ووقوفهم على تل يشرفون عليهم، وغير ذلك، ومما فُضلوا به؛ كالذكاء وقوة الفهم، ودقة النظر، وحسن الاستنباط، فإنهم أوتوا من ذلك ما لم ينله أحد ممن قبلهم. أهـ

زاد رزين بن عبيد-رحمه الله- فقال:" لا جَرمَ لَمَّا انقطعت أعمارُهم، أراد اللهُ ألا يقطع الأجرَ عنهم إلى يوم القيامة، والشقي من أبغَضَهم، والسعيد من أحبهم ".

١٠- من أغضب الصحابة-رضي الله عنهم- فقد أغضب الله -تعالى-:

فقد أخرج الإمام مسلم في "فضائل الصحابة" عن عائذ بن عمرو قال:" أتى أبو سفيان على سلمان، وصهيب، وبلال، في نفر فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها. فقال أبو بكر الصديق ﷺ: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال: "يا أبا بكر لعلك أغضبتهم؟ لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك" فأتاهم أبو بكر ﷺ فقال: يا إخوتاه: أأغضبتكم؟ قالوا:" لا، يغفر الله لك يا أخي.

١١- إتباع الصحابة-رضي الله عنهم- والتأسي بهم سبيل للنجاة من النار:

فقد أخرج الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين مِلة كلهم في النار إلا مِلة واحدة ". قالوا: ومن هي يا رسول الله؟! قال:" ما أنا عليه وأصحابي ". (الصحيحة: ١٣٤٨)

فمن أراد أن يكون من الفرقة الناجية فليتبع هدى خير البرية ﷺ وأصحابه الكرام.

يقول عبد الله بن مسعود ﷺ: "من كان متأسيًا فليتأسى بأصحاب رسول الله ﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الآمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، وأقومها هديًا، وأحسنها حالًا، اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ".

(رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: ٢/٩٧)

وقال الشاطبي -رحمه الله- في كتابه "الاعتصام: ٣/٢٧٦": إن الصحابة كانوا مقتدين به ﷺ إذ هو المتبوع على الحقيقة وجاءت السنة بذلك، فكل من أقتدى بهم فهو من الفرقة الناجية الداخلة للجنة بفضل الله تعالى، وهو معنى قوله ﷺ: "ما أنا عليه وأصحابي". أهـ

ولهذا قال الإمام أحمد-رحمه الله-: أصول السُّنَّة عندنا: التمسُّكُ بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ

١٢- النبي -صلى الله عليه وسلم- بشر من رآه وآمن به وأتبعه وصدقه أن له طوبى:

والصحابة رضي الله عنهم حازوا قصب السبق في هذا على كل أحد أتي بعدهم.

فقد أخرج عبد بن حميد من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"طوبى لمن رآني، ولمن رأى من رأني، ولمن رأي من رأى من رآني".** (الصحيحة: ١٢٥٤) (صحيح الجامع: ٣٩٢٧)

وأخرج الطبراني في الكبير والحاكم من حديث عبد الله بن بسر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى لمن رأى من رآني، ولمن رأى من رأى من رآني وآمن بي، طوبى لهم وحسن مآب ".**

(الصحيحة: ١٢٥٤) (صحيح الجامع: ٣٩٢٦)

وأخرج الطبراني والبزار من حديث أبي عبد الرحمن الجهني ﷺ قال: **" بينما نحن عند رسول الله ﷺ جلوس إذ طلع راكبان فقال رسول الله ﷺ "كنديان [1] منحجيان [2]"حتى أتياه، فإذا رجلان من مذحج قال: فدنا أحدهما ليبايعه، فلما أخذ بيده قال: يا رسول الله أرأيت من رآك وآمن بك وأتبعك وصدقك ماذا له؟ قال: "طوبى له" قال فمسح على يده وانصرف، ثم أتاه الآخر حتى أخذ بيده ليبايعه، فقال: يا رسول الله أرأيت من آمن بك وأتبعك وصدقك ماذا له؟ قال: "طوبي له ثم طوبى له ".**

وقد أخبر تعالى: أن طوبى من نصيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات **قال تعالى:** ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ**﴾. (الرعد:٢٩)

وقد اختلف علماء السلف في المراد "بطوبى" فقال بعضهم: طوبى شجرة في الجنة، ***فقد ذكر ابن جرير الطبري بإسناده إلى ابن عباس– رضي الله عنهما– أنه قال:*** **" طوبي شجرة في الجنة كل شجر الجنة منها، أغصانها من وراء سور الجنة ".** (تفسير الطبري: ١٤٧/١٣)

وقال ابن كثير في "تفسيره: ٨٩/٤": وهكذا روى عن أبي هريرة وابن عباس ومغيث بن سمى، وأبي إسحاق السبيعي، وغير واحد من السلف: أن طوبى شجرة في الجنة في كل دار غصن منها. وقيل: أن "طوبى" اسم من أسماء الجنة، وعلى هذا يكون المعنى الجنة لهم. (أنظر تفسير الطبري: ١٤٦/١٣) (وتفسير ابن كثير: ٨٩/٤)

والراجح ما ذهب إليه الفريق الأول، ***ويدل على هذا الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وابن حبان من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** **" طوبى شجرة في الجنة، مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها ".** (الصحيحة:١٩٨٥) (صحيح الجامع:٣٩١٨)

والمراد من الأحاديث المتقدمة هو الدعاء لهم بدخول الجنة.

١- كندة: بالكسر اسم لقبيلة «معجم البلدان: ٤٨٢/٤».

٢ - مذحج: اسم لقبيلة

١٣- والنبي -صلى الله عليه وسلم- نهى عن سب الصحابة والطعن فيهم:

فهذا إن دل فإنما يدل على فضلهم وعلو مكانتهم.

– ***وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال النبي ﷺ:*** **" لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحُد ذهبًا ما بلغ مُدّ [١] أحدهم ولا نصيفه [٢] ".**

– ***وأخرج الطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** **"إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذُكر القدر فأمسكوا ".** (الصحيحه:٣٤) (صحيح الجامع: ٥٤٥)

– ***قال المناوي-رحمه الله- في "فيض القدير: ١/٣٧٤":*** إذا ذكر أصحابي بما شجر بينهم من الحروب والمنازعات فأمسكوا وجوبًا عن الطعن فيهم والخوض في ذكرهم بما لا يليق، فإنهم خير الأمة وخير القرون، ولما جرى بينهم محامل.

– ***وأخرج الحاكم في المستدرك والطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** **" إن الله– تبارك وتعالى– اختارني، واختار لي أصحابًا، فجعل لي منهم وزراءَ وأنصارًا وأصهارًا، فمن سبهم فعليهِ لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناس أجمعينَ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا ".**

– ***وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث عبد الله بن مغفل ﷺ أن النبي ﷺ قال:*** **"الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضًا بعدي، فمن أحبهم فبحُبِّي لهم أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذي الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه".**

– ***قال المناوي –رحمه الله– في" فيض القدير:٢/٩٨":*** وقوله:" **الله الله في أصحابي**" أي: اتقوا الله فيهم، ولا تلمزوهم بسُوء، أو أُذَكِرُكُمْ اللهَ فيهم وفي تعظيمهم وتوقيرهم، وكرَّره إيذانا بمزيد الحث على الكف عن التعرض لهم بمنقصه، وقوله" **لا تتخذوهم غرضاً**" أي هدفًا ترمُونهم بقبيح الكلام كما يُرمى الهدف بالسِّهام، وهو تشبيةٌ بليغٌ، وقوله" **بعدي**" أي: بعد وفاتي. أهـ

– ***وفي رواية عند الإمام أحمد:*** **"من أبغضهم فقد أبغضنِي، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله ".**

– ***ويقول الذهبي –رحمه الله– في كتابه "الكبائر صـ٢٠٧"عند هذا الحديث:*** " هذا الحديث وأمثاله بيان حالة من جَعَلَهم غرضًا بعد رسول الله ﷺ وسبهم وافترى عليهم وعابهم وكفرهم واجترأ عليهم، وقوله:" **الله..الله**" كلمة تحذير وإنذار، كما يقول المحذر: "النار.. النار" وقوله ﷺ: " **لا تتخذوهم غرضًا من بعدي**" أي لا تتخذوهم غرضًا للسب والطعن، وقوله ﷺ:" **فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم**"، فهذا من أجل الفضائل والمناقب للصحابة، لأن محبة الصحابة لكونهم صحبوا رسول الله ﷺ، ونصروه وآمنوا به وعزروه وواسوه بالأنفس والأموال، فمن أحبهم فإنما أحب النبي ﷺ فحب أصحاب النبي ﷺ عنوان محبته، وبغضهم عنوان بغضه". أهـ

١- المُد: قال في لسان العرب: المد ضرب من المكاييل، وهو ربع صاع، وهو قدر مد النبي ﷺ، وذكر أقوالًا أخرى، وقيل: إن أصل المد مقدر بأن يمد الرجل يديه فيملأ كفيه طعامًا، ونقل الحافظ ابن حجر في الفتح (٣٤/٧) عن البيضاوي قوله: معنى الحديث لا ينال أحدكم بإنفاق مثل أحد ذهبًا من الفضل والأجر ما ينال أحدهم بإنفاق مد طعام أو نصيفه، وسبب التفاوت ما يقارن الأفضل من مزيد الإخلاص وصدق النية، قلت: «القائل الحافظ»: وأعظم من ذلك في سبب الأفضلية عظم موقع ذلك لشدة الاحتياج إليه، وأشار بالأفضلية بسبب الانفاق إلى الأفضلية بسبب القتال كما وقع في الآية: "مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ" فإن فيها إشارة إلى موقع السبب الذي ذكرته، وذلك أن الانفاق والقتال كان قبل فتح مكة عظيمًا لشدة الحاجة إليه وقلة المعتني به بخلاف ما وقع بعد ذلك، لأن المسلمين كثروا بعد الفتح ودخل الناس في دين الله أفواجًا فإنه لا يقع ذلك الموقع المتقدم، والله أعلم.

٢- قوله: "نصيفه" قال الترمذي: ومعنى قوله: "نصيفه" أي: نصف المد.

ولقد لعن النبي -صلى الله عليه وسلم- من سب الصحابة:

فقد مر بنا الحديث الذي أخرجه الحاكم والطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إن الله اختارني، واختار لي أصحابًا، فجعل لي منهم وزراءَ وأنصارًا وأصهارًا، فمن سبهم فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا ". (الصحيحة:٢٣٤٠)

-وأخرج الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:

" لعن الله من سب أصحابي ". (الصحيحة:٢٣٤٠) (صحيح الجامع:٥١١١)

- وعند ابن أبي شيبة بلفظ: " من سب أصحابي فعليه لعنه الله ".

- وأخرج الطبراني أيضًا من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " من سب أصحابي فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين ". (الصحيحه:٢٣٤٠) (صحيح الجامع: ٦٢٨٥)

قال المناوي -رحمه الله- في "فيض القدير: ٦/١٤٦": "من سب أصحابي" أي شتمهم فعليه" لعنة الله، والملائكة والناس" أي الطرد والبعد عن مواطن الأبرار ومنازل الأخيار، والسب والدعاء من الخلق أجمعين، وهذا شامل لمن لابس القتل منهم، لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون، فسبهم كبيرة، ونسبتهم إلى الضلال والكفر كفر ". أهـ

- وأخرج الإمام أحمد في "فضائل الصحابة": عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: "لا تسبوا أصحاب محمد، فلمقام أحدهم ساعة خير من عبادة أحدكم أربعين سنة ".

- وفي رواية أخرى عند الإمام أحمد أيضًا عن ابن عمر رضي الله عنهما أيضًا قال: "لا تسبوا أصحاب محمد، فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره ".

- وأخرج الإمام مسلم عن عائشة -رضي الله عنها- قالت لعروة بن الزبير: " يا أبن أختي أُمِرُوا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبوهم ".

قال الإمام الذهبي -رحمه الله- في كتابه "الكبائر - ص٢٧٦": " إنما يعرف فضائل الصحابة رضي الله عنهم من تدبر أحوالهم وسيرهم وآثارهم في حياة رسول الله ﷺ، وبعد موته من المسابقة إلى الإيمان، والمجاهدة للكفار، ونشر الدين، وإظهار شعائر الإسلام، وإعلاء كلمة الله ورسوله، وتعليم فرائضه، وسننه، ولولاهم ما وصل إلينا من الدين أصل ولا فرع، ولا علمنا من الفرائض والسنن سنة ولا فرضًا، ولا علمنا من الأحاديث والأخبار شيئًا، فمن طعن فيهم، أو سبهم، فقد خرج من الدين، ومرق من ملة المسلمين، لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم، وإضمار الحقد فيهم، وإنكار ما ذكره الله تعالى في كتابه من ثنائه عليهم وفضائلهم ومناقبهم وحبهم، ولأنهم أرضى الوسائل المأثورة، والوسائط من المنقول، والطعن في الوسائط طعن في الأصل والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول، وهذا ظاهر لمن تدبره وسلم من النفاق والزندقة والإلحاد في عقيدته ". أهـ

وقال أيوب السختياني -رحمه الله-: " إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من صحابة رسول الله ﷺ فأعلم أنهم أرادوا أن يجرحوا شهودنا ليعطلوا العمل بالكتاب، والجرح بهم أولى وهم زنادقة ".

وقال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل -رحمه الله-: " ومن الحجة الواضحة البينة المعروفة ذكر محاسن أصحاب رسول الله- رضي الله عنهم- كلهم أجمعين، والكف عن ذكر مساويهم، والخلاف الذي شجر بينهم، فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو واحدًا منهم أو تنقص أو طعن عليهم، أو عرض بعيبهم أو عاب أحدًا منهم فهو مبتدع رافضي خبيث، مخالف لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا، بل حبهم سنة والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة، وأصحاب رسول الله ﷺ هم خير الناس، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئًا من مساويهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا نقص ". (السنة للإمام أحمد ص٧٨)

وقال الإمام أحمد أيضًا-رحمه الله-: " إذا رأيت رجلاً يذكر أصحاب رسول الله ﷺ بسوء فاتهمه بالإسلام".
(الصارم المسلول:٢١٥) (شرح أصول الأعتقاد:١٢٥٢/٧)

وقال أيضًا: " لا يجوز لأحدٍ أن يذكر شيئًا من مساويهم، ولا يطعن على أحدٍ منهم بعيبٍ ولا نقصٍ؛ فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته. ليس له أن يعفو عنه؛ بل يعاقبه ويستتيبه، فإن تاب قُبِلَ منه، وإن ثبت أعاد عليه العقوبة وخلده في الحبس حتى يموت، أو يرجع". (الصارم المسلول:٢١٥)

وعقد شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- فصلا في كتابه "الصارم المسلول على شاتم الرسول ص٥٦٧"

فقال: فأما من سب أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل بيته وغيرهم، فقد أطلق الإمام أحمد أنه يُضرب ضربًا نكالًا، وتوقف عن قتله وكفره.

قال النووي -رحمه الله- في "شرحه على مسلم ٤٠٠/٥": " وأعلم أن سب الصحابة- رضي الله عنهم- حرام من فواحش المحرمات، سواء من لابس الفتن منهم وغيره لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون، قال القاضي عياض: وسب أحدهم من المعاصي والكبائر، ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه يُعزّر ولا يُقتل، وقال بعض المالكية: يُقتل ". أهـ

وقال ابن حجر-رحمه الله- في "الفتح: ٣٦/٧": " اختلف في ساب الصحابي، فقال عياض: ذهب الجمهور إلى أنه يعزّر، وعن بعض المالكية يقتل، وخص بعض الشافعية ذلك بالشيخين والحسنين، فحكى القاضي حسين في ذلك وجهين، وقواه السبكي في حق من كفر الشيخين، وكذا من كفر من صرح النبي ﷺ بإيمانه أو تبشيره بالجنة إذا تواتر الخبر بذلك عنه لما تضمن من تكذيب رسول الله ﷺ ". أهـ

قال أبو نعيم–رحمه الله– في كتابه "الإمامة – ص٣٧٥": " فمن أسوأ حالًا ممن خالف الله ورسوله وآب بالعصيان لهما والمخالفة لهما. ألا ترى أن الله– تعالى– أمر نبيه ﷺ بأن يعفو عن أصحابه ويستغفر لهم ويخفض لهم الجناح؛ **قال تعالى:** ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ**﴾ (آل عمران:١٥٩) **وقال تعالى:** ﴿**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾. (الشعراء:٢١٥) فمن سبهم وأبغضهم وحمل ما كان من تأويلهم وحروبهم على غير الجميل الحسن فهو العادل عن أمر الله تعالى وتأديبه ووصيته فيهم. لا يبسط لسانه فيهم إلا عن سوء طويته في النبي ﷺ وصحابته والإسلام والمسلمين ". أهـ

وجاء في كتاب "الصارم المسلول ص٥٧٤" و "منهاج السنة ٢/١٤" عن مجاهد –رحمه الله– قال: قال ابن عباس–رضي الله عنهما–: **"لا تسبوا أصحاب محمد فإن الله قد أمر بالاستغفار لهم وقد علم أنهم سيقتتلون"**

وسُئل الإمام أحمد عن رجل شتم رجلًا من أصحاب النبي ﷺ فقال: " ما أراه على الإسلام " (السنة للخلال:٣/٤٩٣)

وقال السرخسي الحنفي–رحمه الله– : " فمن طعن فيهم (أي: الصحابة) فهو مُلْحِدٌ، منابذٌ للإسلام، دواؤه السيف إن لم يتب ". (أصول السرخسي:٢/١٠٤)

وقال الإمام مالك–رحمه الله–: " الذي يشتم أصحاب النبي ﷺ ليس له سهم، أو قال: ليس له نصيب في الإسلام ". (السنة للخلال: ٣/٤٩٣)

وقال إسحاق بن راهوية–رحمه الله–: " من شتم أصحاب النبي ﷺ يعاقب ويحبس، وهو قول عمر بن عبد العزيز– رحمه الله– ".

وقال يحيى بن معين –رحمه الله–: " من شتم عثمان أو طلحة أو أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ دجال لا يكتب عنه، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين". (تهذيب التهذيب:١/٤٤٧)

وقال ابن المنذر–رحمه الله–: " لا أعلم أحدًا يوجب قتل من سب من بعد النبي ﷺ ".

وقال الإمام أحمد–رحمه الله– في رواية المروزي: " من شتم أبا بكر وعمر وعائشة ما أراه على الإسلام ".

ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في كتابه "الصارم المسلول صـ٥٠٢":عن الإمام مالك أنه قال- رحمه الله- :" إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي ﷺ فلم يمكنهم ذلك فقدحوا في أصحابه، حتى يقال: رجل سوءٍ له أصحاب سوءٍ، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين، ثم قال شيخ الإسلام ومن اقترن بسبه دعوى أن علياً إله أو أنه كان هو النبي، وإنما غلط جبريل في الرسالة، فهذا لا شك في كفره، ولا شك في كفر من توقف في تكفيره "، ثم قال:" وأما من جاوز ذلك على أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفرٌ قليل، لا يبلغون بضعة عشر نفسًا، أو أنهم فسقوا عامتهم فهذا لا ريب أيضاً في كفره؛ لأنه كذب ما نص عليه القرآن في غير موضع من الرضى عنهم والثناء عليهم، بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين، فإن مضمون هذه المقالة أن نَقَلَةَ الكتاب والسنة كفارٌ أو فساقٌ، وأن هذه الآية التي هي: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران:١١٠)، وخيرُها هو القرنُ الأول كان عامَّتُها كفارًا أو فساقًا، ومضمونُها أن هذه الأمة شر الأمم، وأن سابقي هذه الأمة هم شرارهم، وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام ". أهـ

وقد قال إمام عصره أبو زرعة الرازي وهو من أجلّ شيوخ البخاري: " إذا رأيتم الرجل ينتقصُ أحدًا من أصحاب النبي ﷺ فأعلموا أنه زنديقٌ، وذلك لأن الرسول ﷺ عندنا حقٌّ، والقرآن حقٌّ، وما جاء به حق، وإنما أدَّى إلينا هذا القرآن والسنن أصحب رسول الله ﷺ وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أوْلى، فهم زنادقة ". (حكم سب الصحابة لابن حجر الهيثمي ص٢٠-٢١) (الكفاية في علم الرواية صـ٤٩)

- ***وجاء رجلٌ إلى الإمام أبي زرعة فقال:*** " أنا أبغض معاوية!". فقال-رحمه الله-:" إنَّ ربَّ معاويةَ ربٌّ رحيمٌ، وخَصْمُ معاوية خصمٌ كريمٌ. فما دخلك أنت بينهما؟ رضي الله عنهم أجمعين".

- ***وقال السَّمَرقندي -رحمه الله- في تفسيره:٣/٢٢٤" عند قوله تعالى*** ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ..﴾ **إلى قوله:** ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(الحشر:٨-١٠) وفي الآية دليل على أن من ترحم على الصحابة واستغفر لهم ولم يكن في قلبه غلٌ لهم فله حظ في المسلمين، وله أجرٌ مثل أجر الصحابة، ومن شتم أو لم يترحم عليهم، أو كان في قلبه غلٌ لهم، فليس له حظ في المسلمين". أهـ

وقال البغوي -رحمه الله- في تفسيره:٨/٨١" عند الآية السابقة: فكل من كان في قلبه غلٌ على أحدٍ من الصحابة، ولم يترحم على جميعهم . فإنه ليس ممن عناه الله بهذه الآية ". أهـ

وأخيراً:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في "مجموع الفتاوي: ٤/٤٣٠" بعد أن ذكر بعض الأحاديث المتقدم ذكرها في فضل الصحابة:" وهذه الأحاديث مستفيضة بل متواترة في فضائل الصحابة والثناء عليهم وتفضيل قرنهم على من بعدهم من القرون، والقدح فيهم قدح في القرآن والسنة ". أهـ

ثم قال – رحمه الله-: والقادح في الكتاب والسنة لا حظ له في الإسلام، وهذا حال الرافضة فإنهم طعنوا في الكتاب والسنة عن طريق القدح في الصحابة- رضي الله عنهم- إذ هم نقلة هذا الدين إلى من بعدهم. والطعن في الصحابة أيضًا طعن في الرسول ﷺ كما قال الإمام مالك وغيره من أئمة العلم: هؤلاء طعنوا في أصحاب رسول الله ﷺ إنما طعنوا في أصحابه ليقول القائل: رجل سوء كان له أصحاب سوء، ولو كان رجلًا صالحًا لكان أصحابه صالحين. أهـ

والذي يعتقد هذا هو من أبخس الناس حظًا في الدنيا والآخرة، وقد تبني هذا المعتقد الفاسد الشيعة والخوارج، فإن الشيعة يفضلون أنفسهم وهم شر خلق الله تعالى على أبي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وعائشة وجميع الصحابة رضي الله عنهم، حاشا عليًا والحسن والحسين وعمار بن ياسر، والخوارج يفضلون أنفسهم وهم شر خلق الله وكلاب النار، علي عثمان وعلى طلحة والزبير، ولقد خاب من خالف كلام الله تعالى، وقضاء رسوله عليه الصلاة والسلام في أن الصحابة رضي الله عنهم هم صفوة الأمة المحمدية وسادتها على الإطلاق.

(المفاضلة بين الصحابة لابن حزم -رحمه الله- ص١٧٨)

وقال الشيخ ابن عثيمين-رحمه الله-: وفي الحقيقة إن سب الصحابة -رضي الله عنهم- ليس جرحًا في الصحابة-رضي الله عنهم- فقط، بل هو قدح في الصحابة، وفي النبي ﷺ، وفي شريعة الله، وفي ذات الله- عز وجل-. أما كونه قدحًا في رسول الله، فحيث كان أصحابه وأمناؤه وخلفاؤه على أمته من شرار الخلق، وفيه قدح في رسول الله من وجه آخر؛ وهو تكذيبه فيما أخبر به من فضائلهم ومناقبهم.

وأما كونه قدحًا في شريعة الله؛ فلأن الواسطة بيننا وبين رسول الله ﷺ في نقل الشريعة هم الصحابة، فإذا سقطت عدالتهم لم يبق ثقة فيما نقلوه من الشريعة.

وأما كونه قدحًا في الله- سبحانه-، فحيث بعث نبيه في شرار الخلق، واختارهم لصحبته وحمل شريعته ونقلها لأمته. فانظر ماذا يترتب من الطوام الكبرى على سب الصحابة -رضي الله عنهم-. أهـ

(شرح العقيدة الواسطية:٢/٢٨٤)

وقال الشيخ ابن عثيمين-رحمه الله-:" سب الصحابة من المنكرات العظيمة، بل ردة عن الإسلام، من سبهم وأبغضهم فهو مرتد عن الإسلام، لأنهم هم نَقَلَةَ الشريعة، هم نقلوا لنا حديث رسول الله ﷺ وسنته، وهم نَقَلَةَ الوحي، نقلوا القرآن، فمن سبهم وأبغضهم أو اعتقد فسقهم فهو كافرٌ، نسأل الله العافية والسلامة ".

(مجموع فتاوى ابن عثيمين)

وقال الإمام محمد بن صُبَيح بن السَّمَّاك -رحمه الله- لمن انتقص الصحابة-رضي الله عنهم-:

"علمتُ أن اليهود لا يسبون أصحاب موسى-عليه السلام-، وأن النصارى لا يسبون أصحاب عيسى-عليه السلام-، فما بالك يا جاهلُ سببت أصحاب محمدٍ ﷺ؟ وقد علمتُ من أين أُتيتَ: لم يشغلك ذنبُك! أما لو شغلك ذنبُك لخفت ربك، ولقد كان في ذنبك شغلٌ عن المسيئين؛ فكيف لم يشغلك عن المحسنين؟ أما لو كنت من المحسنين لما تناولت المسيئين؛ فمِنْ ثَمّ عبت الشهداءَ والصالحين. أيها العائب لأصحاب محمدٍ ﷺ، لو نمت ليلك، وأفطرت نهارك لكان خيراً لك من قيام ليلك وصوم نهارك مع سوءٍ قولك في أصحاب محمدٍ ﷺ. فويحُك! لا قيام ليلٍ، ولا صيام نهارٍ، وأنت تتناول الأخيار؟! فأبشر بما ليس فيه من البشرى إن لم تتب مما تسمع وترى. وبم تحتج يا جاهل إلا بالجاهلين. وشرُّ الخلفِ خلفٌ شتم السلفَ؛ الواحدُ من السلف خيرٌ من ألفٍ من الخلف". (رواه المعافي فى "الجليس الصالح:٢/٣٩٢")

لكن.. لا يضير السماء العواء، ولا أن تمتد لها يد شلاء.

وكما قيل: ألمْ تر أنَّ الليث ليسَ يُضِيرُهُ إذا نَبَحَتْ يومًا عليه كِلَابُ

إني أحبُّ أبـــا حفصٍ وشيعتـه كمـا أحبُّ عتيقاً صاحب الغـار
وقد رضيت عليًا قـــدوةً عَلَمـًا وما رضيتُ بقتل الشيخ في الدار
كل الصحابة ساداتي ومُعتمدي فهل عَلَيَّ بهذا القولِ من العار؟!

والخلاصة في حكم من يسب أصحاب النبي-صلى الله عليه وسلم-:

أن سب الصحابة ينقسم إلى قسمين، ولكل منهما حكم يخصه كما يلي:

القسم الأول: من سب الصحابة سبًا يقدح في عدالتهم بالكفر أو الردة أو الفسق، فهذا كافر مرتد عن الإسلام، وذلك لأن السب بهذه الطريقة يعني أن الذين نقلوا القرآن والسنة كفارٌ أو مترددون أو فُساق، وبذلك يقع الشك في القرآن والسنة؛ لأن الطعن في النقَلة طعن في المنقول، وهذا القول-أيضًا- تكذيب لعدالتهم والرضا عنهم في القرآن الكريم.

وعلى هذا يُحمل قول بشر بن الحارث -رحمه الله-حيث قال: " من شتم أصحاب رسول الله ﷺ فهو كافر، وإن صام وصلى وزعم أنه من المسلمين ". (الإبانة لابن بطة:١٦٢)

وقال الإمام مالك -رحمه الله- : " من شتم أحداً من أصحاب محمدٍ ﷺ؛ أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو بن العاص، فإن قال: كانوا على ضلالٍ وكفرٍ، قتل". (الصارم المسلول: صـ ٥٠٣)

- ويَكْفُر كذلك كل من زعم أن الصحابة ارتدُّوا بعد موت رسول الله ﷺ، ولم يبق منهم مسلمٌ إلا أربعةٌ أو خمسةُ نفر، ودليل كفرهم هو: مخالفتهم لظاهر القرآن وصريح آياته، ومن خالف القرآن فقد كفر بالإجماع.

القسم الثاني: من سب الصحابة سبًا لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم- مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن أو قلة العلم أو عدم الزهد- فهذا السب حرام ويستحق صاحبه التعزير والتأديب.

(الصارم المسلول: ص٥٨٧،٥٦٧)

قال القاضي أبو يعلى-رحمه الله-: " الذي عليه الفقهاء في سب الصحابة إن كان مستحلًا لذلك كفر، وإن لم يكن مستحلًا فسق ".

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب-رحمه الله-:

فإذا عرفت أن آيات القرآن الكريم تكاثرت في فضلهم، والأحاديث المتواترة بمجموعها ناصَّةٌ على كمالهم، فمن اعتقد فسقهم أو فسق مجموعهم وارتدادهم، أو ارتداد معظمهم عن الدين، أو اعتقد حقيَّة سبهم وإباحته، أو سبهم مع اعتقاد حقية سبهم أو حليته، فقد كفر بالله تعالى ورسوله فيما أخبر من فضلهم وكمالاتهم المستلزمة لبراءتهم عما يوجب الفسق والارتداد وحقية السب أو إباحته، ومن كذبهما فيما ثبت قطعًا صدوره عنهما فقد كفر، ومن خص بعضهم بالسب: فإن كان ممن تواتر النقل في فضله وكماله كالخلفاء؛ فإن اعتقد حقية سبه أو إباحته فقد كفر؛ لتكذيبه ما ثبت قطعًا عن رسول الله ﷺ ومكذبه كافرٌ، وإن سب من غير اعتقاد حقية سبه أو إباحته فقد تفسق؛ لأن سِبابَ المسلم فسوقٌ، وقد حكم بعضهم فيمن سب الشيخين بالكفر مطلقًا. والله أعلم. وإن كان ممن لم يتواتر النقل في فضله وكماله، فالظاهر أن سابه فاسق، إلا أن يسبه من حيث صحبته لرسول الله ﷺ فإن ذلك كفر، وغالب هؤلاء الرافضة الذين يسبون الصحابة لا سيما الخلفاء يعتقدون حقية سبهم أو إباحته بل وجوبه؛ لأنهم يتقربون بذلك إلى الله- تعالى- بما يوجب لهم خسران الدين. والله الحافظ ".

(رسائل في الرد على الرافضة)

وقفة: من قذف عائشة- رضي اللّه عنها- بما برئها اللّه منه فقد كفر:

ذَكَرَ القُرطُبيٌّ عن الإمام مالك -رحمه الله- أنه قال: " من سب عائشة - رضي الله عنها- قُتِلَ؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (النور:١٧)، فمن سب عائشة خالف القرآن، ومن خالف القرآن قُتِلَ، وكل من سبها مما برأها الله به مكذبٌ لله، ومن كَذَّب الله فهو كافرٌ بالإجماع ".

(تفسير القرطبي:٦/٥٠٤)

وقال السُّبكيّ-رحمه الله-إمام الشافعية: وأما الوقيعة في عائشة- رضي الله عنها-، والعياذ بالله فموجبة القتل؛ لأمرين: أحدهما: أن القرآن الكريم يشهد ببراءتها، فتكذيبه كفرٌ، والوقيعة فيها تكذيب له.

الثاني: أنها فراش النبي ﷺ، والوقيعةُ فيها تنقيصٌ له، وتنقيصُهُ كفر. (فتاوى السبكي:٢/٥٩٢)

وحكى الإمام ابن القيم -رحمه الله- اتفاق الأئمة على كفر قاذف عائشة- رضي الله عنها- حيث قال:

" واتفقت الأئمة على كفر قاذفها ".

وقال بدر الدين الزَّركشيُّ -رحمه الله-:"من قذفها فقد كفر؛ لتصريح القرآن الكريم ببراءتها ".

وقال الإمام النووي -رحمه الله-:"براءة عائشة من الإفك، وهي براءةٌ قطعيةٌ بنص القرآن العزيز، فلو تشكك فيها إنسان والعياذ بالله صار كافرًا مرتدًا بإجماع المسلمين ". (شرح مسلم:٧/١١٧)

وقال السيوطي -رحمه الله- : عند آيات سورة النور التي نزلت في براءة عائشة- رضي الله عنها-، من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النور:١١) نزلت في براءة عائشة- رضي الله عنها- فيما قذفت به، فاستدل بها الفقهاء: على أن قاذفها يقتل؛ لتكذيبه لنص القرآن ". (الإكليل للسيوطي)

وقال العلماء: قذف عائشة كفر؛ لأن الله سبح نفسه عند ذكر الإفك، فقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة النور:١٦)، كما سبح نفسه عند ذكر ما وصفه به المشركون من الزوجة والولد.

ثالثًا: من هم الذين يسبون الصحابة؟

يجب على كل مسلم أن يعرف من هم الذين يسبون الصحابة ويبارزونهم العداء؛ لكي يحذرهم ويتصدى لأقوالهم الباطلة دفاعا عن أصحاب النبي ﷺ؛ لأن الدفاع عن الصحابة الكرام إنما هو في حقيقة الأمر دفاع عن القرآن الكريم والسنة المطهرة. وأعداء الصحابة هم الخوارج والشيعة، وهو من الفرق الضالة.

أولًا: الخوارج[1]:

أجمعت الخوارج على تكفير علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ومن معهم من الصحابة بعد أن رضي عليٌّ بالتحكيم وقاتلوهم؛ واستحلوا دماءهم وأموالهم. (مقالات الإسلاميين:١/١٧٦).

ثانيًا: الشيعة:

إن الشيعة وهم فرق كثيرة جدًا من أعداء أصحاب النبي ﷺ، ومن أشدهم عداوة لأصحاب النبي ﷺ الرافضة، وتسمى بالشيعة الإمامية، أو الإثنا عشرية.

قال أبو الحسن الأشعري-رحمه الله-: وإنما سموا الرافضة؛ لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر، وهم مجمعون يعتقدون أن النبي ﷺ نص على إمامة عليّ بن أبي طالب-رضي الله عنه- باسمه وأظهر ذلك وأعلنه، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبيﷺ. (مقالات الإسلاميين:١/٨٩)

يعتقد الرافضة أن كل الصحابة قد ارتدوا بعد موت النبي ﷺ إلا ثلاثة، وهم: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي. (الشيعة والسنة: ص٤٩)

يقول الرافضي: إن كبار أهل السنة وأئمتهم كأبي بكر وعمر وعثمان حرفوا القرآن وأسقطوا كثيرًا من الآيات والسور التي نزلت في فضائل أهل البيت، والأمر باتباعهم والنهي عن مخالفتهم وإيجاب محبتهم وأسماء أعدائهم والطعن فيهم واللعنة عليهم. (مختصر التحفة الإثنا عشرية"ص٣٠،٣١)

يعتقد الروافض أن القرآن الكريم لم يجمعه ولم يحفظه أحد كما أنزل على الرسول ﷺ إلا علي بن أبي طالب والأئمة من آل البيت فقط، ويكذبون من ادعى حفظه من باقي الصحابة. (الخطوط العريضة: ص١٧)

والروافض يلعنون ويسبون أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر، وذلك في دعاء صنمي قريش المشهور في كتبهم.

(حقيقة الشيعة، لعبد الله الموصلي: ص١١٦،١١٧)

١- الخوارج: هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بعد قبوله التحكيم مع معاوية؛ وهم فرق متعددة ضالة، وأشدهم بغضًا لعلي ﷺ هم النواصب.

رابعاً: عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة:

- أهل السنة والجماعة يحبون صحابة النبيﷺ ويُجلونهم ويَتَولَّونهم ويَتَّبِعون هديهم، ويعتقدون أنهم خير أمة أخرجت للناس، وأنهم خيرة الله من خلقه.

- أهل السنة والجماعة يؤمنون بأن خير هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب- رضي الله عنهم جميعًا-

- أهل السنة والجماعة يقدمون من أنفق من قبل الفتح - وهو صلح الحديبية- وقاتل، على من أنفق من بعد وقاتل، وكلًّا وعد الله الحسنى

- أهل السنة والجماعة يقدمون المهاجرين على الأنصار.

- أهل السنة والجماعة يؤمنون بأن الله- تعالى-غفر لأهل بدر، **وقال لهم:**" **اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم** ". (رواه مسلم)

- أهل السنة والجماعة يؤمنون بأنه لن يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة، وأن الله رضي عنهم جميعًا، **فقد أخرج الإمام مسلم من حديث جابر قال: قال رسول الله:" لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة ".**

- أهل السنة والجماعة يشهدون بالجنة لمن شهد لهم رسول الله ﷺ، كالعشرة المبشرين بالجنة، وغيرهم ممن عينهم رسول الله ﷺ

- أهل السنة والجماعة لا يخوضون فيما شجر بين علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان- رضي الله عنهما- مع اعتقادهم أن الحق كان مع علي بن أبي طالب وأصحابه، وأن معاوية كان متأولًا.

- وأهل السنة والجماعة يعتقدون أن القتال الذي حصل بين عليّ بن أبي طالب بن أبي سفيان- رضي الله عنهما- لم يكن على الإمامة، وإنما كان القتال بسبب اجتهادهم في كيفية القصاص من قتلة عثمان، وأن أكثر الصحابة قد اعتزلوا هذا القتال، وأهل السنة يستغفرون للقتلة من كلا الفريقين ويترحمون عليهم ويحفظون فضائلهم ويعترفون لهم بسبقهم وينشرون مناقبهم عملًا بقوله تعالى:

﴿**وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ (الحشر:١٠)

قيل لأحمد بن حنبل: يا أبا عبد الله، ما تقول فيما كان من عليّ ومعاوية -رضي الله عنهما-؟ فقال أبو عبد الله: ما أقول فيهما إلا الحسنى، رحمهم الله أجمعين. (السنة للخلال: صـ٤٦٠، رقم ٧١٣).

وقال أبو بكر المروزي: قلت لأبي عبد الله: أيما أفضل؛ معاوية، أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: معاوية أفضل، لسنا نقيس بأصحاب النبي ﷺ أحداً، قال النبي ﷺ:" **خير الناس قرني الذي بعثت فيهم**".

(السنة للخلال: ص٤٣٤، رقم ٦٦٠)

قال القاضي عياض–رحمه الله–: وأما الحروب التي جرت فكانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب نفسها بسببها، وكلهم عدول– رضي الله عنهم– متأولون في حروبهم وغيرها، ولم يخرج شيء من ذلك أحداً منهم عن العدالة؛ لأنهم مجتهدون، اختلفوا في مسائل من محل الاجتهاد كما يختلف المجتهدون بعدهم في مسائل من الدماء وغيرها، ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم. (معارج القبول: ٢/٥٠٦)

وقال ابن كثير–رحمه الله– في ترجمة معاوية بن سفيان –رضي الله عنه–: ثم كان ما كان بينه وبين عليّ بعد مقتل عثمان، على سبيل الاجتهاد والرأي، فجرى بينهما قتال عظيم كما قدمنا، وكان الحق والصواب مع علي، ومعاوية معذور عند جمهور العلماء سلفًا وخلفًا، وقد شهدت الأحاديث الصحيحة بالإسلام للفريقين من الطرفين– أهل العراق وأهل الشام– ***كما ثبت في الحديث الصحيح:*** " **تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين إلى الحق** ". (رواه مسلم) فكانت المارقة الخوارج، وقد قتلهم عليٌّ وأصحابه–رضي الله عنهم–. (البداية والنهاية: ٨/١٢٩)

يقول القرطبي–رحمه الله– في تفسيره (١٦/٣٢١): عند تفسير قوله تعالى: **﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾** . (الحجرات:٩). ولا يجوز أن يُنسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به، إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه، وأرادوا وجه الله– عز وجل–، وهم كلهم لنا أئمة، وقد تعبدنا بالكف عما شجر بينهم، وألا نذكرهم إلا بأحسن الذكر، لحرمة الصحبة ولنهي النبي ﷺ عن سبهم، وأنَّ الله غفر لهم، وأخبر بالرضا عنهم. أهـ

خامساً: ثناء السلف الأبرار على الصحابة الأخيار:

لا يعرف قدر الرجال إلا الرجال.. والصحابة هم سادة السادات لا يعرف علو مكانهم إلا من سار على دربهم من سلف الأمة.. ونحن هنا نسرد كلمات قليلة في الثناء على الصحابة من سلف الأمة، ونبدأ بثناء الصحابة، ثم نذكر طرفًا من أقوال سلف الأمة:

١ - ثناء عليٍّ -رضي الله عنه- على الصحابة:

أخرج ابو نعيم الأصبهاني عن أبي أراكه قال: **صليت مع علي ﷺ صلاة الفجر، فلما أنفتل[١] عن يمينه مكث كأن عليه كآبة، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح صلى ركعتين، ثم قلب يده، فقال: "والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى اليوم شيئًا يشبههم، لقد كانوا يصبحون صفرًا شعثًا، وغبرًا، بين أعينهم كأمثال ركب المعزى قد باتوا لله سجدًا وقيامًا، يتلون كتاب الله، يتراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا[٢] كما يميد الشجر في يوم الريح، وهملت[٣] أعينهم حتى تبل ثيابهم، والله فكأن القوم[٤] قد باتوا غافلين[٥]" ثم نهض فما رئي بعد ذلك مفترًا يضحك حتى قتله ابن ملجم عدو الله الفاسق.**

(ذكره صاحب حياة الصحابة: ٢٣/١)

وقال أيضًا ﷺ: **"أولئك مصابيح الهدى، يكشف الله بهم كل فتنة مظلمة، سيدخلهم الله في رحمة منه، ليس أولئك بالمذاييع[٦] البذر ولا الجفاة المرائين".** (حلية الأولياء:٧٧/١) (البداية والنهاية:٧/٨)

فأمير المؤمنين على ﷺ مدحهم بهذه الصفات الطيبة التي كانت شعارهم فقد بين أنهم كانوا مجتهدين في عبادة ربهم كانوا يكثرون من النوافل في جوف الليل لأن اصفرار الوجوه وظهور السيماء فيها كان نتيجة إكثارهم من السهر والسجود لله– جل وعلا–، ووصفهم بأنهم كانوا يبيتون تالين لكتاب الله، وكانوا إذا تليت عليهم آيات الله بكوا، وكانوا أعلام هدى، ولقوة بصيرتهم ومعرفتهم أحكام الله وما أوجب عليهم من العبادات والطاعات كشف الله عنهم الفتن المضلة، فكانوا من أهل رحمته التي لا يفوز بها إلا أهل الإخلاص، وقد كانوا رضي الله عنهم في مقدمة أولياء الله المؤمنين وعباده المتقين فرضي الله عنهم أجمعين.

١- أنفتل: أنصرف.
٢- مادوا: تحركوا
٣- هملت: أرخت بالبكاء.
٤- يقصد أصحابه الذين صلوا خلفه ذلك اليوم.
٥- قال هذا عن قوم كانوا من خير القرون، فماذا لو رأى حال أهل زماننا؟!
٦- المذاييع: هو جمع مذياع: من أذاع الشيء إذا أفشاه، وقيل: أراد الذين يشيعون الفواحش (انظر النهاية: ١٧٤/٢)

٢- ثناء حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - على الصحابة:

إن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه خص نبيه محمدًا ﷺ بصحابة آثروه على الأنفس والأموال، وبذلوا النفوس دونه في كل حال، **ووصفهم الله في كتابه فقال:** ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ . (الفتح:٢٩)

قاموا بمعالم الدين وناصحوا الاجتهاد للمسلمين حتى تهذبت طرقه وقويت أسبابه وظهرت آلاء الله، وأستقر دينه ووضحت أعلامه، وأذل بهم الشرك، وأزال رؤوسه ومحا دعائمه، وصارت كلمة الله العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزكية، والأرواح الطاهرة العالية، فقد كانوا في الحياة لله أولياء، وكانوا بعد الموت أحياء، وكانوا لعباد الله نصحاء، رحلوا إلى الآخرة قبل أن يصلوا إليها وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها. أهـ (مروج الذهب ومعادن الجوهر: ٣/٧٥)

فهذه الصفات التي وصفهم بها عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كلها مناقب وثناء حسن يذكرون به في الآخرين وقد كانوا رضي الله عنهم كما وصفهم فقد خصهم الله وشرفهم بصحبة نبيه عليه الصلاة والسلام، وآثروه بأموالهم وأنفسهم، وأقاموا معالم الدين الإسلامي الحنيف، ونصحوا للأمة واجتهدوا في نشر الإسلام وتثبيت دعائمه حتى أستقر في الأرض وأذل الله بهم الشرك وأهله وأزيلت رؤوسه، ومحيت دعائمه، وأعلى الله بهم كلمته، ودحر بهم كلمة الباطل، وبذلك كانت نفوسهم زكية وأرواحهم طاهرة فكانوا أولياء لله في هذه الحياة الدنيا فرضوان الله عليهم أجمعين.

٣- ثناء ابن عمر -رضي الله عنهما- على الصحابة:

روى أبو نعيم الأصبهاني بإسناده إلى عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أنه قال: **"من كان مستنًا فليستن بمن قد مات أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا خير هذه الأمة، أبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قوم أختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ونقل دينه فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم فهم أصحاب محمد ﷺ وكانوا على الهدى المستقيم".** (حلية الأولياء: ١/٣٠٥) (وذكره البغوي عن ابن مسعود ﷺ: ١/٢١٤).

وقال قتادة -رحمه الله-: **سئل ابن عمر -رضي الله عنهما- هل كان أصحاب النبي ﷺ يضحكون؟ قال: نعم والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبال.**

٤- ثناء عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- على الصحابة:

مر بنا الأثر الذي أخرجه الإمام أحمد في المسند عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: "إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه فما رأي المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئًا فهو عند الله سيئ".

وروى ابن بطة بإسناده إلى عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: "من كان منكم مستنًا فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد كانوا والله أفضل هذه الأمة، وأبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قوم أختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم".

(منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام بن تيمية:١٦٦/١، شرح السنة للبغوي:٢١٤/١، حلية الأولياء:١٣٥/١، جامع الأصول:٢٩٢/١)

فقول عبد الله بن مسعود ﷺ: **كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا**، كلام جامع بين فيه حسن قصدهم ونياتهم ببر القلوب، وبين فيه كمال المعرفة، ودقتها بعمق العلم، وبين فيه تيسير ذلك عليهم وامتناعهم من القول بلا علم بقلة التكلف". (المصدر السابق: ١٦٦/١)

فأحق الأمة بإصابة الصواب أبرها قلوبًا وأعمقها علومًا وأقومها هديًا وأحسنها حالًا، من غير شك ولا ارتياب فكل خير وإصابة وحكمة، وعلم ومعارف ومكارم، إنما عرفت لدينا ووصلت إلينا من الرعيل الأول والسرب الذي عليه المعول، فهم الذين نقلوا العلوم والمعارف عن ينبوع الهدى ومنبع الاهتداء، فرضي الله عنهم أجمعين. (انظر لوامع الأنوار البهية للسفاريني: ٣٨٠/٢)

وجاء في "الحلية:١٣٦/١" عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال للتابعين: أنتم أكثر صيامًا وأكثر صلاة[١] وأكثر اجتهادا من أصحاب رسول الله ﷺ وهم كانوا خيرًا منكم! قالوا: لم يا أبا عبد الرحمن؟ قال: هم كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة.

١- أكثر صيامًا وأكثر صلاة: يقصد صيام وصلاة التطوع.

٥- ثناء عائذ بن عمرو -رضي الله عنه- على الصحابة:

أخرج الإمام مسلم بإسناده إلى الحسن أن عائذ بن عمرو ﷺ وكان من أصحاب رسول الله ﷺ دخل على عبيد الله بن زياد فقال: أي بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن شر الرعاء الحطمة" فإياك أن تكون منهم، فقال له أجلس فإنما أنت من نخالة[1] أصحاب محمد ﷺ فقال: وهل كانت لهم نخالة ؟ إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم.

فقول عائذ بن عمرو ﷺ: وهل كانت لهم نخالة ؟ إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم.، وهذا من جزل الكلام وفصيحه وصدقه الذي ينقاد له كل مسلم، فإن الصحابة رضي الله عنهم كلهم هم صفوة الناس وسادات الأمة وأفضل ممن بعدهم، وكلهم عدول قدوة لا نخالة فيهم، وإنما جاء التخليط ممن بعدهم وفيمن بعدهم كانت النخالة. (شرح النووي على صحيح مسلم: ٢١٦/١٢)

فالصحابة رضي الله عنهم كانوا في غاية التحلي بالصفات الطيبة التي زكت بها نفوسهم وطهرت بها قلوبهم، وعلت بها مكانتهم فكانوا صفوة الأمة وأعلاها وأكملها فطرة وأصفاها أذهانا، وبذلك كان مجتمعهم مجتمع الطهر والنقاء والصفاء رضوان الله عليهم أجمعين.

وقد أثني عليهم التابعون بذكر محاسنهم، وما قدموه من الأعمال الصالحة التي ينبغي لمن جاء بعدهم الاقتداء بهم فيها.

٦- ثناء محمد بن كعب القرظي-رحمه الله - على الصحابة:

أخرج أبو الشيخ وابن عساكر عن أبي صخر حميد بن زياد قال: قلت لمحمد بن كعب القرظي: أخبرني عن أصحاب رسول الله ﷺ وإنما أريد الفتن؟ فقال: إن الله قد غفر لجميع أصحاب النبي ﷺ وأوجب لهم الجنة في كتابه محسنهم ومسيئهم، قلت له: وفي أي موضع أوجب الله لهم الجنة في كتابه؟ قال: ألا تقرأ ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. (التوبة:١٠٠). أوجب لجميع أصحاب النبي ﷺ الجنة والرضوان وشرط على التابعين شرطًا لم يشترطه فيهم قلت: وما أشترط عليهم؟ قال: أشترط عليهم أن يتبعوهم بإحسان، يقول: يقتدون بهم في أعمالهم الحسنة، ولا يقتدون بهم في غير ذلك، قال أبو صخر: لكأني لم أقرأها قبل ذلك وما عرفت تفسيرها حتى قرأها على محمد بن كعب.

(الدر المنثور في التفسير بالمأثور: (٢٧٢/٤))

١- النخالة هي نخالة الدقيق والمراد: قشوره، والنخالة والحفالة والحثالة بمعنى واحد (شرح النووي: ٢١٦/١٢).

٧- ثناء الحسن البصري -رحمه الله -على الصحابة:

وروى الحافظ أبو نعيم بإسناده إلى الحسن البصري أن بعض القوم قال له: أخبرنا صفة أصحاب رسول الله ﷺ قال: فبكى وقال: ظهرت منهم علامات الخير في السيماء، والسمت، والهدي، والصدق، وخشونة ملابسهم بالاقتصاد، وممشاهم بالتواضع، ومنطقهم بالعمل، ومطعمهم ومشربهم بالطيب من الرزق، وخضوعهم بالطاعة لربهم تعالى، واستقادتهم للحق فيما أحبوا وكرهوا، وإعطاؤهم الحق من أنفسهم، ظمئت هواجرهم، ونحلت أجسامهم، واستخفوا بسخط المخلوقين في رضى الخالق، لم يفرطوا في غضب، ولم يحيفوا ولم يجاوزوا حكم الله تعالى في القرآن، شغلوا الألسن بالذكر، بذلوا دماءهم حين استنصرهم، وبذلوا أموالهم حين استقرضهم، ولم يمنعهم خوفهم من المخلوقين، حسنت أخلاقهم، وهانت مؤنتهم، وكفاهم اليسير من دنياهم إلى آخرتهم.

(حلية الأولياء: ٢/١٥٠)

ويقول الحسن البصري –رحمه الله– واصفًا حال الصحابة: والله لقد أدركت أقوامًا وصحبت طوائف فهم ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل، ولا يأسفون على شيء فيها أدبر، وهي كانت أهون في أعينهم من هذا التراب، كان أحدهم يعيش خمسين سنة لم يُطو له ثوب قط، ولا نُصب له قدر، ولا جعل بينه بين الأرض شيئًا، ولا أمر في بيته بصنعة طعام قط، فإذا كان الليل، فقيام على أطرافهم يفترشون وجوههم، تجرى دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم، وكان إذا عملوا حسنة، دأبوا في شكرها وسألوا الله أن يقبلها، وإذا عملوا السيئة، أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها، فمازالوا على ذلك، فو الله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة، وإنكم أصبحتم في أجل منقوص، وعمل محفوظ، والموت والله في رقابكم، والنار بين أيديكم، فتوقعوا قضاء الله عز وجل في كل يوم وليلة. (كتاب: الزهد للحسن البصري –رحمه الله–: ص٣٠)

٨- وقال قتادة-رحمه الله - في قوله تعالى:

﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ﴾ (سبأ:٦) قال: أصحاب محمد ﷺ. (المصدر السابق)

- وقال قتادة أيضا -رحمه الله :-

أحق من صدقتم أصحاب رسول الله ﷺ الذين اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه. (رواه الإمام أحمد: ٣/١٣٤)

٩- وقال أيوب السختياني-رحمه الله :-

من أحب أبا بكر فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحب عليًا فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الحسنى في أصحاب رسول الله ﷺ فقد برئ من النفاق.

(البداية والنهاية: ٨/١٣)

١٠- وقال إمام أهل الشام شيخ الإسلام الأوزاعي-رحمه الله - لبقية بن الوليد:

يا بقية: العلم ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ، وما لم يجيء عن أصحاب محمد ﷺ فليس بعلم، يا بقية لا تذكر أحدًا من أصحاب محمد نبيك ﷺ إلا بخير، ولا أحدًا من أمتك، وإذا سمعت أحدًا يقع في غيره فأعلم أنه إنما يقول أنا خير منه. (جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر: ٢/٣٦)

١١- وسئل سعيد بن المسيب-رحمه الله - عن شيء فقال:

اختلف فيه أصحاب رسول الله ولا أرى لي معهم قولًا، قال ابن وضاح: هذا هو الحق، قال أبو عمر: معناه ليس له أن يأتي بقول يخالفهم. (المصدر السابق)

١٢- وقال الإمام مالك -رحمه الله -:

من يبغض أحدًا من أصحاب النبي ﷺ وكان في قلبه عليهم غل، فليس له حق في فيء المسلمين ثم قرأ قول الله سبحانه وتعالى: (مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ) إلى قوله (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ). (الحشر:٧-١٠)

وذكر بين يديه رجل ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ فقرأ مالك هذه الآية: (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ) إلى قوله: (لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ) (الفتح:٢٩). ثم قال: من أصبح من الناس في قلبه غل على أحد من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام فقد أصابته الآية. أهـ (شرح السنة للبغوي: ٢٢٩/١)

١٣- وقال الإمام أحمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته:

ومن السنة الواضحة الثابتة البينة المعروفة ذكر محاسن أصحاب رسول الله رضي الله عنهم أجمعين، والكف عن ذكر ما شجر بينهم، فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو أحدًا منهم أو تنقصه أو طعن عليهم، أو عرض بعيبهم أو عاب أحدًا منهم فهو مبتدع رافضي خبيث مخالف لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا، بل حبهم سنة والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة، وخير هذه الأمة بعد النبي ﷺ أبو بكر، وعمر بعد أبي بكر، وعثمان بعد عمر، وعلي بعد عثمان، ووقف قوم على عثمان، وهم خلفاء راشدون مهديون، ثم أصحاب رسول الله ﷺ بعد هؤلاء الأربعة، خير الناس ولا يجوز لأحد أن يذكر شيئًا من مساويهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا بنقص، فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ليس له أن يعفوا عنه بل يعاقبه ويستتيبه، فإن تاب قبل منه، وإن ثبت أعاد عليه العقوبة وخلده في الحبس حتى يموت أو يراجع . أهـ (طبقات الحنابلة: ٣٠/١، كتاب السنة للأمام أحمد: ص١٧)

١٤- وقال الإمام محمد بن إدريس الشافعي -رحمه الله -في رسالته موضحًا فضل الصحابة:

" الصحابة– رضي الله عنهم– لا كان ولا يكون مثلهم، هم فوقنا في كل علمٍ، وعقلٍ، ودينٍ، وفضلٍ، ورأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا ".

وقال الشافعي أيضًا: وقد أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله ﷺ في القرآن والتوراة والإنجيل، وسبق لهم على لسان رسول الله ﷺ من الفضل ما ليس لأحد بعدهم، فرحمهم الله وهنأهم بما آتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين، أدوا إلينا سنن رسول الله ﷺ عامًا وخاصًا وعزمًا وإرشادًا، وعرفوا من سننه ما عرفنا وجهلنا وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل، وأمر أستدرك به علم وأستنبط به، وأراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من رأينا عند أنفسنا، ومن أدركنا ممن يرضى أو حكى لنا عنه ببلدنا صاروا فيما لم يعلموا لرسول الله ﷺ فيه سنة إلى قولهم إن اجتمعوا، أو قول بعضهم إن تفرقوا، وهكذا نقول ولم نخرج من أقاويلهم، وإن قال أحدهم ولم يخالفه غيره أخذنا بقوله. . أهـ (مناقب الشافعي للبيهقي: ٤٢٢/١، إعلام الموقعين: ٨٠/١).

١٥ - وقال ابن أبي حاتم -رحمه الله- :-

فأما أصحاب رسول الله ﷺ فهم الذين شهدوا الوحي والتنزيل وعرفوا التفسير والتأويل، وهم الذين أختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه، وإظهار حقه، فرضيهم له صحابة وجعلهم لنا أعلامًا وقدوة، فحفظوا عنه ﷺ ما بلغهم عن الله ﷻ، وما سن وشرع وحكم وقضى وندب وأمر ونهي وحظر وأدب، ووعوه وأتقنوه، ففقهوا في الدين وعلموا أمر الله ونهيه ومراده بمعاينة رسول الله ﷺ، ومشاهدتهم منه تفسير الكتاب وتأويله وتلقفهم منه واستنباطهم عنه، فشرفهم الله عز وجل بما من عليهم وأكرمهم به من وضعه إياهم موضع القدوة فنفى عنهم الشك والكذب والغلط والريبة والغمز وسماهم عدول الأمة فقال ﷻ في محكم كتابه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾. (البقرة:١٤٣) ففسر النبي ﷺ عن الله ﷻ ذكره قوله: (وَسَطًا) قال: "عدلًا " فكانوا عدول الأمة وأئمة الهدى وحجج الدين ونقله الكتاب والسنة، وندب الله– عز وجل– إلى التمسك بهديهم والجري على منهاجهم والسلوك لسبيلهم والاقتداء بهم، فقال: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ﴾ (النساء:١١٥). ووجدنا النبي ﷺ قد حض على التبليغ في أخبار كثيرة ووجدناه يخاطب أصحابه فيها، منها أن دعا لهم فقال ﷺ:" **نضر الله امرءًا سمع مقالتي فحفظها ووعاها حتى يبلغها غيره** ". (رواه الإمام أحمد وأبو داود)[1] وقال ﷺ في خطبته:" **فليبلغ الشاهد منكم الغائب** ". (رواه البخاري ومسلم)

وقال ﷺ: " **بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج** ". (رواه البخاري)، ثم تفرقت الصحابة –رضي الله عنهم– في النواحي والأمصار والثغور وفي فتوح البلدان والمغازي والإمارة والقضاء والأحكام فبث كل واحد منهم في ناحيته وبالبلد الذي هو به ما وعاه وحفظه عن رسول الله ﷺ، وحكموا بحكم الله ﷻ وأمضوا الأمور على ما سن رسول الله ﷺ، وأفتوا فيما سئلوا عنه مما حضرهم من جواب رسول الله ﷺ عن نظائرها من المسائل، وجردوا أنفسهم مع تقدمه حسن النية والقربة إلى الله تقدس اسمه لتعليم الناس الفرائض والأحكام والسنن والحلال والحرام حتى قبضهم الله عز وجل رضوان الله ومغفرته ورحمته عليهم أجمعين. . أهـ

(مقدمة الجرح والتعديل:٨٠٧/١)

١- وهو عند البخاري بلفظ "بلغوا عني ولو أية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج".

١٦- وروى أبو عمر ابن عبد البر بإسناده إلى إبراهيم بن سعيد الجوهري قال:

سألت أبا أسامة[١] أيما كان أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: لا نعدل بأصحاب محمد ﷺ أحدًا. (جامع بيان العلم وفضله: ٢/٢٢٧)

وقال ابن عبد البر–رحمه الله – في الحديث عن سنن النبي ﷺ:

ومن أوكد آلات السنن المعينة عليها والمؤدية إلى حفظها، معرفة الذين نقلوها عن نبيهم رسول الله ﷺ إلى الناس كافة وحفظوها عليه وبلغوها عنه، وهم صحابته الذين وعوها وأدوها محتسبين حتى كمل بما نقلوه الدين، وثبت بهم حجة الله–عز وجل–على المسلمين، فهم خير القرون وخير أمة أخرجت. ثبت عدالة جميعهم بثناء الله– عز وجل– عليهم وثناء رسوله ﷺ، ولا أعدل ممن ارتضاه الله لصحبة نبيه ونصرته ولا تزكية أفضل من ذلك ولا تعديل أكمل منه. (الاستيعاب:١/١١٧)

١٧- وقال الإمام الطحاوي-رحمه الله- في عقيدته الطحاوية:

ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.
(شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٥٢٨)

قال شارح الطحاوية: فمن أضل ممن يكون في قلبه غل على خيار المؤمنين وسادات أولياء الله تعالى بعد النبيين؟ بل قد فضلهم اليهود والنصارى بخصلة، قيل لليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وقيل للنصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب عيسى، وقيل للرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد. لم يستثنوا منهم إلا القليل، وفيمن سبوهم من هو خير ممن استثنوهم بأضعاف مضاعفه. (المصدر السابق)

١٨- قال العلامة أبو محمد بن حزم -رحمه الله- :-

الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعًا، **قال تعالى:** ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾. (الحديد:١٠)

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾. (الأنبياء:١٠١)

فثبت أن جميعهم من أهل الجنة وأنه لا يدخل أحد منهم النار، لأنهم المخاطبون بالآية الأولى التي أثبتت لكل منهم الحسنى وهي الجنة، ولا يتوهم أن التقييد بالإنفاق أو القتال فيها بالإحسان في الذين أتبعوهم بإحسان يخرج من لم يتصف بذلك منهم، لأن تلك القيود خرجت مخرج الغالب فلا مفهوم لها على أن المراد من أتصف بذلك ولو بالقوة أو العزم. ثم الصحابة أصناف: فمنهم المهاجرين والأنصار، ومن أسلم يوم الفتح أو بعده، فأفضلهم إجمالا المهاجرون فمن بعدهم على الترتيب المذكور، وأما تفضيلًا، فسباق الأنصار أفضل من جماعة مستأخري المهاجرين، وسباق المهاجرين أفضل من سباق الأنصار، ثم هم بعد ذلك يتفاوتون، فرب متأخر إسلامًا أفضل من متقدم كبلال.

١- هو أبو أسامة حماد بن أسامة بن زيد القرشي مولاهم أبو أسامة الكوفي، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٣/٢).

١٩- وقال ابن أبي زيد[١] القيرواني المالكي في مقدمة رسالته المشهورة:

وأن خير القرون الذين رأوا رسول الله ﷺ وآمنوا به ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهديون أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي– رضي الله عنهم– أجمعين وألا يذكر أحد من صحابة رسول الله ﷺ إلا بأحسن ذكر، والإمساك عما شجر بينهم وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم حسن المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب. أهـ (الرسالة مع شرحها الثمر الداني في تقريب المعاني: ص٢٢-٢٣)

٢٠- ونقل الحافظ ابن حجر -رحمه الله-:-

عن أبي المظفر السمعاني أنه قال في كتابه "الاصطلام": التعرض إلى جانب الصحابة علامة على خذلان فاعله بل هو بدعة وضلالة. أهـ (فتح الباري: ٣٦٥/٤)

٢١- وقال أبو عثمان[٢] الصابوني-رحمه الله-:-

ويرون– أي أهل السنة– الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيبًا لهم ونقصًا فيهم ويرون الترحم على جميعهم والموالاة لكافتهم. أهـ

(عقيدة السلف أصحاب الحديث – الرسالة السادسة من مجموعة الرسالة المنيرية: ١٢٩/١)

٢٢- وقال العلامة ابن القيم -رحمه الله-:-

مبينًا فضل الصحابة عمومًا على غيرهم ممن جاء بعدهم وذاكرا الصفات التي أهلتهم لذلك عند كلامه على ذكر أنواع الرأي المحمود: فالنوع الأول: رأى أفقه الأمة، وأبر الأمة قلوبًا، وأعمقهم وأقلهم تكلفًا وأصحهم قصودًا وأكملهم فطرة، وأتمهم إدراكًا، وأصفاهم أذهانًا الذين شاهدوا التنزيل وعرفوا التأويل وفهموا مقاصد الرسول، فنسبة أراءهم وعلومهم وقصودهم إلى ما جاء به الرسول ﷺ كنسبتهم إلى صحبته، والفرق بينهم وبين من بعدهم في ذلك كالفرق بينهم وبينهم في الفضل فنسبة رأي من بعدهم إلى رأيهم كنسبة قدرهم إلى قدرهم، والمقصود أن أحدًا ممن بعدهم لا يساويهم في رأيهم وكيف يساويهم؟ وقد كان أحدهم يرى الرأي فينزل القرآن بموافقته ... وحقيق بمن كانت آرائهم بهذه المنزلة أن يكون رأيهم لنا خيرًا من رأينا لأنفسنا، وكيف لا وهو الرأي الصادر من قلوب ممتلئة نورًا وإيمانًا وحكمة وعلمًا ومعرفة وفهمًا عن الله ورسوله ونصيحة للأمة وقلوبهم على قلب نبيهم، ولا وساطة بينهم وبينه، وهم ينقلون العلم والإيمان من مشكاة النبوة غضًا طريًا لم يشبه إشكال، ولم يشبه خلاف، ولم تدنسه معارضة، فقياس رأي غيرهم بآرائهم من أفسد القياس. (إعلام الموقعين لابن القيم: ٧٩/١)

– ***وقال ابن القيم أيضًا موضحًا فضل الصحابة علينا إلى يوم الدين:*** "وكل خيرٍ فيه المسلمون إلى يوم القيامة، والإسلام، والقرآن، والعلم والمعارف، والعبادات، ودخول الجنة، والنجاة من النار، والانتصار على الكفار، وعلو كلمة الله. فإنما هو ببركة ما فعله الصحابة، الذين بلغوا الدين وجاهدوا في سبيل الله، وكل مؤمن آمن بالله فللصحابة– رضي الله عنهم– الفضل إلى يوم القيامة ". (طريق الهجرتين: صـ٣٦)

١- هو عبد الله بن عبد الرحمن أبي زيد النفزي القيرواني أبو محمد فقيه من أعيان القيروان كان إمام المالكية في عصره، قال الذهبي: كان على أصول السلف في الأصول لا يدرى الكلام ولا يتأول، ولد سنة عشر وثلاث مائة وتوفى سنة ست وثمانين وثلاث مئة، انظر ترجمته في (سير أعلام النبلاء١٠/١٧)، الديباج المذهب (٤٢٧/١- ٤٣٠)، شجرة النور الزكية (٩٦/١).

٢- هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل، أبو عثمان الصابوني: مقدم الحديث في بلاد خراسان، لقبه أهل السنة فيها "شيخ الإسلام" كان رحمه الله فصيح اللهجة، واسع العلم، عارفًا بالحديث والتفسير، ولد سنة ثلاث وسبعين وثلاث مائة، وتوفى سنة تسع وأربعين، وأربع مئة، انظر ترجمته في (الكامل لابن الأثير :٦٣٨/٩)، (وتهذيب دمشق:٢٧/٣- ٣٣)،(البداية والنهاية:٨٣/١٢).

٢٣- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- :-

ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ كما وصفهم الله به في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحشر:١٠)، وطاعة للنبي ﷺ في قوله: " **لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه** ".. ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم، وطريقه النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل، ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كاذب ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون، وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر حتى إنهم يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما لا يكون لمن بعدهم. وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ أنهم خير القرون وأن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهبًا ممن بعدهم، ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنات تمحوه أو غفر له بفضل سابقته أو بشفاعة محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته، أو أبتلى ببلاء في الدنيا كفر به عنه، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف الأمور التي كانوا فيها مجتهدين إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور ثم إن القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر مغفور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح، ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من الله عليهم به من الفضائل علم يقينًا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله .أهـ

(العقيدة الواسطية وشرحها لمحمد خليل هراس: ص١٤٢-١٥١)

وقال شيخ الإسلام أيضًا: " فلا ينتصر لشخص انتصارًا مطلقًا عامًا، إلا رسول الله ﷺ، ولا لطائفة انتصارًا مطلقًا إلا للصحابة-رضي الله عنهم- فإن الهدى يدور مع رسول الله ﷺ حيث دار، ومع أصحابه دون أصحاب غيره ". أهـ (منهاج السنة النبوية: ٥/٢٦٢)

٢٤- وقال ابن قدامة -رحمه الله- :-

ومن السنة تولي أصحاب رسول الله ﷺ ومحبتهم، وذكر محاسنهم والترحم عليهم، والإستغفار لهم". أهـ

(لمعة الاعتقاد: صـ ١٥٠)

٢٥- وقال العلامة ابن حجر الهيتمي-رحمه الله - في "حكم سب الصحابة":

أعلم أن الذي أجمع عليه أهل السنة والجماعة أنه يجب على كل مسلم تزكية جميع الصحابة بإثبات العدالة لهم، والكف عن الطعن فيهم والثناء عليهم، فقد أثني الله– سبحانه– وتعالى عليهم في آيات من كتابه منها قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران:١١٠)، فأثبت الله تعالى لهم الخيرية على سائر الأمم، ولا شيء يعادل شهادة الله تعالى لهم بذلك، لأنه تعالى أعلم بعبادة وما انطووا عليه من الخيرات وغيرها، بل لا يعلم ذلك غيره تعالى فإذا شهد تعالى فيهم بأنهم خير الأمم وجب على كل أحد اعتقاد ذلك والإيمان به وإلا كان مكذبًا لله تعالى، في إخباره ولا شك أن من إرتاب في حقيقة شيء مما أخبر الله– تعالى– أو رسوله ﷺ كان كافرًا بإجماع المسلمين.

وقال–رحمه الله–: آمنهم الله تعالى من خزيه ولا يأمن خزيه في ذلك اليوم[1] إلا الذين ماتوا والله– عز وجل– ورسوله– عليه الصلاة والسلام– عنهم راض: فآمنهم من الخزي الصريح لهو من أعظم الأدلة على كمال حقائق الإحسان، وأن الله تعالى لم يزل راضيًا عنهم حيث يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّـهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾. (الفتح:١٨) ثم قال بعد ذكره للآيات في الثناء عليهم: ويكفيهم شرفًا أي شرف ثناء الحق تبارك وتعالى عليهم في الآية السابقة حيث ذكر تعالى رضاه عنهم ووعده إياهم جميعًا بالمغفرة والأجر العظيم، ووعد الله صدق وحق لا يتخلف ولا يخلف لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم.

ولو لم يرد من الله– تعالى– ورسوله– عليه الصلاة والسلام– فيهم شيء مما سبق لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد ونصرة الإسلام وبذل المهج والأموال وقتل الأباء والأولاد والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين القطع بتعديلهم، والاعتقاد بنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع الجائين بعدهم، والمعدّلين الذين يجيئون من بعدهم، هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتمد قوله، ولم يخالف فيه إلا شذوذ من المبتدعة الذين ضلوا وأضلوا فلا يلتفت إليهم ولا يعول عليهم. أهـ

٢٦- وقال السفاريني -رحمه الله-:

ولا يرتاب أحد من ذوي الألباب أن الصحابة الكرام هم الذين حازوا قصبات السبق واستولوا على معالي الأمور من الفضل والمعروف والصدق، فالسعيد من اتبع صراطهم المستقيم وأقتفى منهجهم القويم، والتعيس من عدل عن طريقهم، ولم يتحقق بتحقيقهم فأي خطة رشد لم يستولوا عليها؟ وأي خطة خير لم يسبقوا إليها؟ تالله لقد وردوا ينبوع الحياة عذبًا صافيًا زلالًا، ووطدوا قواعد الدين والمعروف، فلم يدعوا لأحد بعدهم مقالًا فتحوا القلوب بالقرآن والذكر والإيمان، والقرى بالسيف والسنان، وبذل النفوس النفيسة في مرضاة الرحيم الرحمن، فلا معروف إلا ما عنهم عرف، ولا برهان إلا ما بعلومهم كشف، ولا سبيل نجاة إلا ما سلكوا، ولا خير سعادة إلا ما حققوه وحكوه، فرضوان الله– تعالى– عليهم أجمعين. أهـ (لوامع الأنوار البهية للسفاريني: ٢/٣٧٩)

١- أي يوم القيامة... وذلك في معرض استشهاده بالآية الثامنة من سورة التحريم (يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّـهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ) الآية.

٢٧- وقال يحيى بن أبي بكر العامري[١] -رحمه الله-:

وينبغي لكل صين متدين مسامحة الصحابة فيما صدر بينهم من التشاجر، والاعتذار عن مخطئهم وطلب المخارج الحسنة لهم، وتسليم صحة إجماع ما أجمعوا عليه على ما علموه فهم أعلم بالحال والحاضر يرى ما لا يرى الغائب، وطريقة العارفين الاعتذار عن المعائب وطريقة المنافقين تتبع المثالب، وإذا كان اللازم من طريقة الدين ستر عورات عامة المسلمين فكيف الظن بصحابة خاتم النبيين! مع اعتبار قوله ﷺ:"لا تسبوا أصحابي". (رواه البخاري ومسلم)، وقوله: "من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه".(رواه الترمذي وابن ماجه عن حديث أبي هريرة ﷺ) هذه طريقة صلحاء السلف وما سواها مهاو وتلف. أهـ

(الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة: ص٣٠٠)

٢٨- وأختم بكلام شيخ الوعاظ ابن الجوزي -رحمه الله- حيث أثنى على الصحابة فقال:

لولا جد أصحابه في جهادهم وشجاعتهم في صفوف قتالهم لافتضح المتأخرون. فالحمد لله على اليزل[٢] كانوا بالليل رهبانًا، وبالنهار فرسانًا، قطع الرسول. طمع من طمع في لحاقهم بحسام «ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» وكيف تنال؟ مرتبة السابق[٣] بشيء وقر في صدره، أو منقبة المهيب[٤] والعدو يفرق من ظله، أو مقام الوقور[٥] فالملائكة تستحي منه، أو فضيله مزاحم[٦] النفس «في منزلة كهارون من موسى» يأس والله الكهول، من مقارنة سيدي[٧] كهول أهل الجنة، كما لم تطمع الشباب، في مزاحمة سيدي[٨] شباب أهل الجنة، متى التهبت في صحابة الأنبياء؟ عزيمة كحمرة جمرة حمزة، أو علا على العلاء على كعلاء علي، لقد فاز بلقب الصدق طلحة الجود كما سعد بالفضل وحواري الزبير، وسما بصلاة النبي ﷺ خلفه ابن عوف، كما قرت بلفظ "فداك أبي وأمي" عين سعد، ونجا بالشهادة له بالجنة سعيد، كما عز ابن الجراح بلقب الأمين، ولم يذكر باسمه بالقرآن غير زيد، وإين في الموالي مثل سالم وسلمان؟ ومن في الزهاد كمصعب وابن مظعون؟ وإنه لمسعود. عبد الله بن مسعود، وطوبى ثم طوبي لخباب وصهيب، يا شرف المؤذنين بصوت بلال، ويكفي فخرًا "كوني بردًا لعمار"، وأي بيت يشبه بيت أبي أيوب؟، ومن زين القراء إلا أبي بن كعب؟، ومن في النقباء كابن زرارة وابن الربيع؟ وأني للفقهاء مثل معاذ؟، ومن له زهد كزهد أبي ذر؟، والفخر لبني هاشم بالعباس، وكفى للبصراء قائدًا ابن أم مكتوم، وإنه لقدوة المؤثرين أبو الدحداح، ومن في قوام الليل مثل تميم؟، ومن صبر على القتل صبر خبيب؟، كلهم أخيار، وجميعهم أبرار، ولا مثل صاحب الغار، واين نظير فتاح الأمصار؟ ومن يشبه قتيل الدار؟ ولقد افتقروا إلى المجاهد ذي الفقار، بحب هؤلاء ترجى الجنة وتتقى النار، إن الله تعالى لما حلي

١- هو يحيى بن أبي بكر بن محمد العامري الحرضي محدث اليمن وشيخها في عصره، انظر ترجمته في "الضوء اللامع للسخاوي" (٣٢٤/١٠)، و"البدر الطالع" للشوكاني (٣٢٧/٢).
٢- اليزل: الحرس.
٣- أراد: أبا بكر.
٤- أراد: عمر.
٥- أراد: عثمان.
٦- أراد: عليًا.
٧- يعني: أبو بكر وعمر وعلي قول: حمزة والعباس.
٨- أراد: الحسن والحسين.

محمدًا حلية التنزه، خلع عليه خلعة "هي الإسلام" وأعطاه منشورًا هو القرآن، ولواء هو النصر، فأبو بكر صديق النبوة، وعمر أظهر الرسالة، وعثمان جمع المنشور، وعلى حمل السيف، لما جلا الرسول عروس الإسلام، لم يكن بد من نثار، نثر عمر نصف ماله، فرمى أبو بكر بالكل، فقام عثمان يجهز جيش العسرة، بوليمة العرس فعلم على حال الغيرة، فَبَتّ طلاق الضُرّة، ثم رأى بعض جهاز الدنيا المطلقة عنده، وهو الخاتم فسلم[١] وما سلم. (المدهش: لابن الجوزي ص١٣٨-١٣٩)

وبعد فهذا طرف من الثناء العاطر لسلف الأمة الأخيار على الصحابة الأبرار واعتقادهم الجازم بأن الصحابة رضوان الله عليهم خير القرون، وأفضل الناس بعد النبيين.

قال ابن القيم -رحمه الله -في مدحه للصحابة-رضي الله عنهم-:

يا بــاغيَ الإحسانِ يطلبُ ربَّـهُ — ليفوز منــه بغايـــة الآمال
انظر إلى هدي الصحابة والذي — كانوا عليه في الزمان الخـالي
واسلك طريق القوم أين تيمَّمُوا — خذ يمنةً ما الدرب ذات الشمال
تالله ما اختاروا لأنفسهم سوى — سبل الهدى في القول والأفعال
درجوا على نهج الرسول وهديه — وبــه اقتدوا في ســائر الأحوال
مـا شابَهُم في دينهم نقصٌ ولا — في قولهم شطحُ الجَهُول الغال
عمـلوا بمـا علمـوا لم يتكلفوا — فلذاك ما شابوا الهدى بضلال
فَهُمُ الأدلـــة للحيارى مــن يقل — بهُدَاهِمُوا لم يخش من إضلال
وهـم النجـــوم هدايـــةٌ وإضاءةٌ — وعـلو منزلـــةٍ وبُعْـــدُ منـال
يمشون بين الناس هونًا نطقهم — بالحـق لا بجهـــالة الجُهَّـال
حلمًا وعلمًا مع تقىً وتــواضعٍ — ونصيحةٍ لا بجهـالة الجُهَّـال
يحيـون ليلـهم بطـاعة ربـهـم — بتــلاوةٍ وتضـــرعٍ وســـــؤال
وعيونهم تجري بفيض دمــوع — مثـــل إنهمال الوابــل الهطال
في الليل رهبانٌ وعند جهـادهم — لعـدوهم مـــن أشجع الشجعـان
بوجـوههم أثر السجود لربـــهم — وبهـــا أشعـــة نـوره المـتلالي
ولقــد أبان لك الكتاب صفاتهم — فــي سورة الفتح المبين العــالي
وبرابع السبـــع الطوال صفاتهم — قـــومٌ يحبـــهم ذوو آمـــــال
وبـراءة والحشر فيـــه صفاتهم — وبـــهل أتى وبسورة الأنفـــال

١- يعني سلم الخاتم للسائل في ركوعه ولم يسلم من صلاته. وهي القصة التي نزلت بها {وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ}.(والقصة فيها كلام)

ويقول الحافظ ابن حجر -رحمه الله - في ديوانه ص٢٩-٣١.

وجــــوه أصحابه كالبدر مشرقـةٌ	إذا رأيت أمرًا عــن هديهم صَدَفَا
نــالوا الســيادة في دنيـــا وآخرة	والسبق والفضل والتقديــم والشّرفَا
وبالرِّضَا خُص منهم عشرةٌ زهُـرٌ	يا ويح مــن في موالاة لهم وَقِفَا
سعــد سعيد زبيرٌ طلحـــةٌ وأبــو	عبيدة وابـــن عوف قبله الخُلَفَا[١]
والسابقون الأولى قد هاجروا معه	وما بفضل الانصار النبي خَفَـا
تبوَّءُوا الـدار والإيمانَ قبلُ وقــدْ	أوَوْا وفوا ونصروا فازوا رقوا شرفا
المؤثرون وإن لاحت خصاصتهم	والتاركـــون ظهورًا أدبـــرت أَنَفا
لا يستوي منفق مــن قبل فتحهم	بمنفق بعـــد بالإنفاق قـــد خَلَفَا
والكُــلُّ قـــد وعـــد الله المهيمن	بالحسنى وأولاهُمُ مــن برِّه تُحَفَـا
من كلِّ أورَعَ حامي الدين ناصِره	وكـلِّ أوْرع يَدعى سيد الظُّرَفـــا
لا تسألن القوافي عـــن مآثِرهم	إن شئت فاستنطقِ القرآن والصُّحُفَا

فرضي الله عن الصحابة وأرضاهم، وأكرم في جنات الخلد مثواهم.

هدية وبها أختم:

أخرج البخاري من حديث أنس ﷺ **أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ : متى الساعة؟ قال:" وما أعددت لها؟ " قال: لا شيء، إلا أني أحب الله ورسوله. قال:" أنت مع من أحببت ". قال أنس ﷺ: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ :" أنت مع من أحببت ". قال أنس ﷺ:" فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر –رضي الله عنهما– وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم ".**

ونحن نشهد الله– تعالى– أننا نحبهم، ونسأله سبحانه وتعالى أن يجمعنا بهم في الفردوس الأعلى بحبنا إياهم، وإن لم نعمل بمثل أعمالهم.

١- وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي-رضي الله عنهم-

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة

وأسأل الله- تعالى- أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها......إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا بشأن أي عمل بشري يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيب

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله تعالى أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك